ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 36 - العدد 1025 - الجمعة 20 ربيع الثاني 1424 هـ - الموافق 20 يونيو 2003

عظمة الرسالة المحمدية

الغلو والتطرف مرفوضان

من يقتدى بذبحه في الضحية هل للسلطان أو أيمة الصلاة

مصطلح المشيخة عند العلماء

الشاعر الصوفي «الوَلَوي

أبو الحسن الأشعري وعقيدته السلفية

وبعد، فإن موضوع هذا الحديث هو: أبو الحسن الأشعري نسبه، وعقيدته السنية السلفية.

أقول وبالله التوفيق:

إن الحديث عن العقيدة الأشعرية، وسبب رجوع السيد علي بن اسماعيل بن أبي بشر إسحاق بن سالم بن اسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بردة بن موسى الأشعري ...

عن الاعتزال ومذهبه: أقول الحديث عن هذا القدوة موجود في كثير من الكتب نظرا للدراسات المستفيضة التي تحدثت عن سيرته لعلمه وورعه، واستقامته، ولا غرابة في ذلك فهذا الرمز المثالي العظيم انحدر من بيت علم، وطاعة، والتزام بالكتاب والسنة.

ويقال إن سبب تسميته الأشعري أن أمه ولدته وهو أشعر، وجده كما ذكرت بعض المصادر هو أبو موسى الأشعري ويظهر ذلك في النسب الذي وثقناه في صدر هذا العرض... إذ هو يمني الموضع وإن كان ازداد بالبصرة، أما تاريخ ولادته فمن قائل إنه 260 هجرية، والبعض يرى أنه ازداد 270 هجرية، ووالده رضي الله عنه كان على عقيدة أهل السنة والجماعة، وكان من المرموقين في علوم الحديث، واشتهرت أسرته الأشعرية بالعلم، والورع، والتقوى.

كما ذكرنا آنفا فجده أبو موسى قذف الله في قلبه حب النبي صلى الله عليه وسلم، وتعطشه للإسلام قبل أن يلقاه صلى الله عليه وسلم، فكان يقول هو وقومه قبل أن حظوا بالمثول بين يديه عليه الصلاة والسلام: (غدا نلقى الأحبة محمدا وحزبه)، وكان جده وأسرته الوفية المومنة الصادقة، كان لهم عند الرسول (ص) ميزة خاصة، وكم من حديث نبوي شريف خص اليمن وأهله بالثناء فلا غرابة إذا كان الشبل من ذاك الأسد، والدر من معدنه، والفرع من ذاك المحتد الطاهر.

(تتمة ص : 2)

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

الأمين العام لرابطة علماء المغرب بالنيابة

من أجل تكثير سواد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه

دأب المجتمع الإسلامي عامة والمغربي خاصة على تكثير سواد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، مما مكنه من تحصين نفسه من كل المزالق سواء الدينية أو الدنيوية، وتربية أجيال تستمع القول بآذانها، ولاتفتح له الطريق إلى صدورها حتى تزنه بميزان الإيمان، ثم تضعه في القلب فلا يخرج منه أبد الدهر، حيث يحول إلى قوة فاعلة تصنع أفعالا سلوكية في قمة السمو والفضيلة، والحكمة والتبصر والتدبر في شؤون الدنيا والدين فيكون التوفيق حليفهم في كل ما يرومون من قول أو عمل مصداقا لقوله تعالى "الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولائك الذين هداهم الله وأولائك هم أولوا الألباب" الآية18 من سورة الزمر، هؤلاء هم الذين ننتظر أن يصنعهم مجتمعنا، وأن تخرجهم مدارسنا وجامعاتنا فيكونوا محصنين ضد كل دخيل بفضل ما وقر في قلوبهم من معيار التمحيص والفرز لما يلقى على أسماعهم استنادا على تربية سليمة صالحة مصلحة لاعوج فيها مستقاة من مصدر صالح على يد موجه مخلص ومرب فاضل يحسن التلقين ويعرف كيف ينتج المستمع الجيد المحسن الاختيار، الذي يتبع أحسن ما في الكلام وهو ماعبر عنه القرآن الكريم بلفظ يفيد التفضيل حتى يبين لنا أن المستمع المؤمن لايتبع الكلام الحسن فقط بل الأحسن مما يجعل سلوكه صالحا نافعا مفيدا لاعوج فيه، الأمر الذي جعل الله تعالى يثني على أصحاب هذاالفهم ويصفهم بالمهتدين، وأصحاب الألباب الذين ملأ الإيمان قلوبهم فانتقلوا من مقام الإسلام إلى مقام الإحسان، مما جعلهم صالحين مصلحين هادين مهتدين لاخوف عليهم ولاهم يحزنون.

فما أحوجنا إلى تخريج أمثال هؤلاء من مدارسنا ومعاهدنا وأسرنا ونوادينا وجمعياتنا، ليكثر الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه. ويزداد المهتدون في الأمة فيكثر صلاحها ويزداد توفيقها فيعم السلام والرخاء في ظل هذه الأخلاق الرحمانية..

م.ر.

الغلو والتطرف مرفوضان ومآلهما الفشل

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ الغلو والتطرف مذمومان في كل شيء، والغلاة والمتطرفون كانوا عبر التاريخ البشري من عوامل الهدم والدمار، ومن بواعث الفتن والاضطراب، ومن المثبطات التي تقف في وجه التقدم البشري والازدهار الحضاري، والاستقرار الإنساني..

وكثيرا ما يرتبط الغلو والتطرف بالدين والمعتقدات، ويعتبر الغلو في الدين بجميع أشكاله وأنواعه مرضا خبيثا، وداء عضالا، وكارثة إنسانية، وخطر التطرف والغلو لايصيب أصحابه فقط بل يصيب المحيط برمته، وهو كما يفتك بأهله ومعتنقيه، يفتك بالأبرياء والمسالمين.

وينشأ الغلو في الدين عن الجهل به، وعن تحريف نصوصه، وفهمها فهما خاطئا معوجا.

وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد والنسائي وابن ماجة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال: "ياأيها الناس إياكم والغلو في الدين، فإنه ما أهلك من كان قبلكم إلا الغلو في الدين" وخاطب الله تعالى أصحاب الديانات فقال: "ياأهل الكتاب لاتغلوا في دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق.."سورة النساء/الآية:171، وكان رسول الله (ﷺ) يربي أصحابه على الصبر والتسامح، وعلى المنهج الرباني الصحيح، روى أحمد والطبراني في الكبير أن النبي (ﷺ) قال: "من لم يقبل رخصة الله عز وجل كان عليه من الإثم مثل جبل عرفة" وفي الحديث الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه أنه (ﷺ) قال:"إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، وإنما بعثني معلما ميسرا" وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة في آخر سورة التوبة، وهي قوله تعالى : "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم، حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) فالله تعالى جمع لنبيه محمد (ﷺ) بين وصفين جليلين وهما: الرأفة والرحمة ويستفاد من النصوص الصحيحة الواردة في النهي عن الغلو والتشدد والتطرف أن المغالاة في الدين تعارض المنهج الإسلامي القويم الذي جاء به خاتم الأنبياء والمرسلين، وقال علماؤنا رحمهم الله: إن الغلو في الدين يؤدي إلى الكفر، وإلى هلاك الأفراد والأمم، وقالوا: إن صاحبه لايبلغ هدفه، ويسقط في منتصف الطريق، وقالوا: إن الغلو في الدين يناقض الفطرة البشرية، والغريزة الإنسانية، ويدفع إلى الشذوذ الفكري، والعقلي، وهو مجلبة للضجر واليأس والكراهية، وهو في نفس الوقت يتعارض مع توجيهات الرسول (ﷺ)، الذي يقول : "يسروا ولاتعسروا، وبشروا ولاتنفروا"، وبذلك فهو مفسدة في الدين يجب أن يستأصل ويقاوم، والقاعدة الفقهية تقول: دفع المفسدة مقدم على جلب المصالح، معناه أن الدين براء من التطرف والمغالاة، والغلو مظهر مرضي يعكر صفو الحياة، ويفتح باب الفتن والتشاحن والبغضاء.

ومؤكد أن الحامل على التطرف والغلو هو الجهل بالدين، وبمبادئه وقيمه، وتفسير النصوص الدينية حسب المزاج الأسود، والأهواء الضالة، وجاء في الحديث:"لايرى الجاهل إلامفرطا، أو مفرطا" والتفريط: ضياع حكم الله كما قال البخاري، فالجاهل بأهداف الدين ومقاصده، وبمحاسن الشريعة وسموها، وبما يهدف إليه الدين من إسعاد الناس في الدنيا والآخرة... الجاهل بذلك يعتمد على غلوه وتطرفه، وعلى وساوسه الشيطانية المنبعثة من ضعف الإيمان، ومن تحكم النفس الأمارة بالسوء، البطيئة عن الجلى، السريعة إلى الخنا، وإلى المكر والبغي.. في مثل هؤلاء يقول تعالى: "ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض..."سورة المؤمنون/الآية:71 يقول الشاطبي رحمه الله: "وأصل اتباع الهوى الانقياد إلى طاعة الأغراض العاجلة، والشهوات الزائلة، فقد جعل الله اتباع الهوى مضادا للحق..." ويقول: "فكل موضع ذكر الله تعالى فيه الهوى فإنما جاء به في معرض الذم له ولمتبعيه، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال: "ماذكر الله الهوى في كتابه إلا ذمه..."(1)

فالجاهل بالدين وبأحكامه ومقاصده، ومن لامشيخة له فيه، يحكم هواه، ويريد من الدين أن يكون وفق مزاجه الفاسد، ورأيه الأفن، وفي هذا المعنى يقول الشاطبي مرة أخرى: "إن كل عمل كان المتبع فيه الهوى بإطلاق، من غير التفات إلى الأمر أو الناهي. أي الشرع. فهو باطل بإطلاق، لأنه لابد للعمل من حامل يحمل عليه، وداع يدعو إليه، فإذا لم يكن لتلبية الشارع في ذلك مدخل، فليس إلا مقتضى الهوى والشهوة، وما كان كذلك فهو باطل بإطلاق...(2).

فالغلاة والمتطرفون يبتعدون عن مقاصد الشريعة، ويتبعون أهواءهم، ومن أضل ممن اتبع هواه؟!

ومن الحكمة عزل الغلاة والمتطرفين، وذلك بعدم تعميم أفكارهم على مختلف شرائح المجتمع، وبحصر الاتهامات في المجرمين المعروفين بغلوهم وبتطرفهم، لأن التعميم يعطي للغلاة المتطرفين مجالا فسيحا يجعلهم يظنون أنهم يمثلون جزء مهما من المجتمع، والواقع غير ذلك، ومن الخطورة بمكان تعميم الاتهامات، فالدين الإسلامي هو دين الجميع، وعلى الجميع أن ينعم برحمته وسماحته وعدله وإحسانه، دين يحرم الظلم والعنف، وقتل النفس، وكل مايضر بالمجتمع، أو يزرع الشحناء والبغضاء بين الناس، دين يقدر الوفاء بالعهد، ويعطي للحياة معنى التراحم والتساكن، ويمقت الفتن ويحذر منها، ويأمر بطاعة أولي الأمر، تجنبا للفتنة وحفظا على سلامة المجتمع، دين يؤكد أن الفتنة أشد من القتل، ويحث على مكارم الأخلاق، ويوصي بتفقد حاجة المحتاج واليتيم والمعاق، ويطالب بأداء الأجير قبل أن يجف عرقه، يقول: ليس منا من بات شبعان وجاره إلى جنبه جائع وهو يعلم، ويقول: من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم... إلى غير ذلك من القيم السامية والمبادئ النبيلة، لكن بكل أسف أن المتطرفين لجهلهم بالدين لايرون في الإسلام إلا جانب الشدة والقسوة والعنف، ولايرون إلا الجوانب التي يرفضها الإسلام رفضا باتا.

والمتطرفون الذين ظهروا في هذا الزمان، امتداد لمتطرفين قبلهم، ظهروا قبل نهاية النصف الأول من القرن الهجري، وعلى يدهم كان مقتل الخلفاء الراشدين: عمر، وعثمان وعلي، (رضي الله عنهم)، وخاض معهم الخليفة "الرابع" (رضي الله عنه) حروبا عديدة، فمنذ ظهور المتطرفين والغلاة، وهم فتنة، وقاومتهم الدول الإسلامية المتعاقبة، وحوصروا، وعزلوا... وبذلك لم يستطيعوا الوقوف في وجه بناء الحضارة الإسلامية التي عرفت نموا وازدهارا في مختلف جهات بلاد الإسلام، ابتداء من مكة والمدينة والكوفة والبصرة وبغداد، ودمشق والقاهرة وقرطبة، وفاس ومراكش إلى بخارى وسمرقند، وفارس والهند... فكل هذه البلاد ازدهرت فيها العلوم الإسلامية،، ونعمت بحضارة الإسلام، ونظمه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وظهر بسائر هذه البلاد علماء كبارفي مختلف ميادين المعرفة والعلوم والفنون.. مما أعطى للحضارة الإسلامية مكانة مرموقة لا في مجال العلوم الدينية فحسب بل في مجال الطب والفلك والهندسة، وعلم النبات والحيوان، والفلسفة والموسيقى، وتألقت العلوم والفنون الأدبية شعرا ونثرا وأخلاقا وآدابا، وازدهرت حركة التأليف والتصنيف والفهرسة، وما إلى ذلك من معاجم وموسوعات في مختلف ضروب المعرفة..وبذلك أثبتت الحضارة الإسلامية وجودها وأصبحت تراثا إنسانيا خالدا، ومرجعا ومصدرا للحضارات المتعاقبة، ومعنى كل هذا أن حركة البغاة والخوارج والمتطرفين ظلت حركات هامشية منبوذة، ولم يستطع المتطرفون والمتشددون الوقوف في وجه التطور الحضاري والازدهار الاقتصادي والعمراني... لم يستطيعوا ذلك قديما، ولن يستطيعوا ذلك حديثا، لأن المجتمعات الواعية وقفت منهم موقف الاستنكار، والرفض، والمقاومة، فظلوا معزولين، وسيظلون كذلك، فمآلهم في كل زمان الفشل والاضمحلال، فهم نشاز، وشواذ، والبقاء للأصلح.

الهوامش:

1-الموافقات:2:170ط:المكتبة التجارية.

2-الموافقات:2:173.

(تتمة ص:1)

وفي عنفوان شبابه شغل وقته الثمين في تلقي العلوم الإسلامية من علماء أجلاء محدثين ملتزمين، فممن تلقى منه العلم السادة الأعلام: أبو خليفة الجمحي، وسهل بن نوح، ومحمد ابن يعقوب المعبري، وعبد الرحمن بن خلف الضبي، وهذه المجموعة المذكورة من أعلام عصر أبي موسى وهم ممن اشتهر بالحديث والتفسير، فقد روى عنهم جميعا في تفسيره... وتفقه على يد ابن اسحاق المروزي فلقد تشرب العلم من ينابيعه الفياضة، وكان آية من آيات الله في الذكاء، والحفظ، وسرعة البديهة... واستطاع أن ينتشر علمه، وتتلقى عقيدته التي سميت باسم أجداده العظماء الأشعريين عندما وفقه الله، وتجرد من أفكار المعتزلة ومعتقداتهم الفاسدة لأسباب سنشير إليها فيما بعد، وإن اعتناق هذا الجناح الغربي من العالم الاسلامي لهذه العقيدة ينبع من خبرة علماء المغرب الأقصى، وسعة اطلاعهم، وتمسكم بمعتقد السلف الصالح...

فلقد حافظ ملوك المغرب على بعث ديننا الإسلامي، ومذهبنا المالكي وعقيدتنا الأشعرية وتوابثنا الأصيلة جزاهم الله عنا أحسن جزائه.

ولا يمكن في ورقات محصورة العدد التحدث عن هذه العقيدة وآرائها الصائبة ونظرياتها المرتكزة على الأصلين الكتاب والسنة.

فجزى الله عنا علماء الإسلام الملتزمين المتشبثين بهاته العقيدة السلفية السنية، فلقد نافحوا عنها وبينوا صوابها ولقنوها لأجيال المسلمين الذين لهم غيرة على ديننا الحنيفي .

ولا يفوتني أن أشكر من أحفز الهمم على التحدث عن هذا العالم المدافع عن إيماننا وعقيدتنا نحن المسلمين .

وذلك يتبين مما ضمنه كتاباته في العقيدة ففي كتاب "الإبانة عن أصول الديانة" لأبي حسن الأشعري تقديم وتحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود، القاهرة - الطبعة:1987م، بتصرف واقتضاب.

إن الفترة التي عاش فيها أبو الحسن الأشعري تمثل نتاج معترك قديم بين فرق زلت قدم البعض منها بالنسبة لكيفية تناولها للعقائد.

إما لتأثره ببعض آراء دخيلة من تراث شرقي أو غربي قديم، أو لرغبة في إخضاع كل ما ورد في الشريعة للعقل البشري، وقد تصدت لهم جماعة من الأصوليين والفقهاء الذين أرادوا مقابلة هذا الانحراف بالثبات على موقف السلف الصالح، وهم الذين لم يتكلموا في المسائل التي طرحها المبتدعة وحذروا في الخوض فيها.

ولقد جاء عن النبي (ﷺ) أنه قال: "لا تجالسوا أهل القدر ولا تفاتحوهم"، رواه أبو داود وابن حنبل.

الشيخ ماء العينين لارياس
الامين العام بالنيابة

يتبع

الوثاق

من يقتدى بذبحه في الضحية

هل السلطان أو أيمة الصلاة 1/2

للعلامة: الفالحمي بن محمد الشرادي

■ الأستاذ : إدريس كـــرم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيئين وإمام المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:

فقد سئل كاتبه عفا الله عنه بمنه وكرمه وفعله من الشارين لفيضان بحر نعمه عن تحقيق من يقتدى بذبحه في الضحية هل السلطان أو أيمة الصلاة للعيد فإنه يقع كثيرا في هذه السنين، تقدم إمام الصلاة في الذبح على السلطان فيحصل التشويش للناس بذلك والشيخ خليل حكى قولين فيمن يعتبر ذبحه، هل العباسي أم إمام الصلاة؟، فأجبت مستعينا بمثبت الألباب سائلا منه تعالى الهداية والتوفيق للصواب.

■ بأنه ينبغي أن يعلم أولا أنه تارة لا يكون بحضرة الناس إمام، وهؤلاء إن كان بقربهم وأمكن تحريه تحروه بمنزلة من لهم إمام، وإن لم يكن بقربهم أو كان ولم يمكن تحريه فجماعة المسلمين تنصب من يقتدى به، فإن لم تكن فهل يذبح بعد أن يصلي العيد، أو يؤخر لقرب الزوال أو يذبح في أي وقت شاء؟.

❖❖❖

توقف في ذلك الخرشي والزرقاني واتباعهما وتارة يكون لهم إمام فاقتداء وقت ذبحه هو بعد الفراغ من صلاة العيد والخطبتين في يوم النحر كما في كلام ابن عرفة، وابتداء وقت ذبح غيره في اليوم الأول أيضا هو بعد ذبح الإمام الواقع بعد صلاته وخطبته فقد تأخر ابتداء ذبح الغير من الإمام بزيارة زمن ذبحه ويتحدان في الانتهاء، وذلك بغروب شمس اليوم الثالث وإلى بيان الابتداء لغير الإمام في اليوم الأول والانتهاء، لهما أشار الشيخ خليل بقوله من ذبح الإمام لآخر الثالث، هذا إذا ذبح الإمام وكذا إن لم يذبح، وترك السنة فإنه يعتبر قدر الذبح زائدا على قدر الصلاة والخطبة كما في كلام ابن ناجي وهو المشهور خلافا للتوضيح.

ثم الذي له حالتان تارة يبرزها للمصلى كما هو مطلوب لقوله، وندب إبرازها وحكمه ما تقدم، وتارة لا يبرزها وهذا يتحرى وقت ذبحه وجوبا كما يتحرى من لم يحضر ببلد الإمام، وهو ما كان على أزيد من ثلاثة أميال، وأما من كان على ثلاثة فدون فهو بلدي، يجب عليه أن يتحقق الذبح، ولا يكفيه التحري، هذا هو الصواب، خلافا لبعضهم.

❖❖❖

فيتحصل أن الإمام إذا أخرج أضحيته ابرزها للمصلى وجب على كل من كان بداخل ثلاثة أميال أن يتحقق ذبح الإمام، فيذبح بعده، ولا يكفيه التحري، وأن من خرج عن ثلاثة أميال من بلد الإمام أو كان بداخلها ولم يبرز الإمام أضحيته في هذين القسمين يتحرى ذبحه، فإن لم يتحر وترك الواجب وسبقه فلا ضحية، وإن تحرى وسبقه، فأما من خرج عن ثلاثة أميال لا إعادة عليه والضحية صحيحة لفعله الواجب، وإليه أشار بقوله الا المتحري أقرب إمام.

وأما من تحرى في البلد لعدم إبراز الإمام الأضحية وسبقه لكون الإمام توانى لغير نذر فأضحيته صحيحة، توانى لعذر فينتظر الزوال، وهو قول المصنف إن لم يبرزها وتوانى بلا عذر قدره، وبه انتظر للزوال هذا سبق من حكمه التحري، وأما سبق من حكمه وجوب التأخير عن ذبح الإمام تحقيقا فيبطل الضحية ويوجب إعادتها لقوله وأعاد سابقه وفيه تسع صور، وعلى قياس صور المتابعة في الإحرام والسلام، قاله الزرقاني، فإن سبقه في الابتداء بأن شرع قبله بطلت مطلقا ختم معه أو قبله أو بعده، فذي ثلاث وكذا إن شرع، معه له ثلاث أيضا والبطلان فيها كلها وإن شرع بعده فإن ختم قبله فالبطلان، وإن ختم معه أو بعده فالصحة.

فالبطلان في سبع والصحة في اثنين مع التسع هذا الذي حرروه.

❖❖❖

ثم الإمام المذكور المعتبر ذبحه وقتا ضحية المأمومين هل هو إمام الطاعة وهو السلطان أو نائبه أو هو إمام صلاة العيد المستخلف عليها من قبل السلطان أو قضاته؟ قولان.

❖❖❖

ونص الأول المعتبر إمام الطاعة كالعباسي اليوم أو من أقامه لصلاة العيد ببلده أو عامله على بلد من بلدانه هـ، ونص ابن رشد في البيان المراعي الإمام الذي يصلي صلاة العيد بالناس إذا كان مستخلفا على ذلك هـ وهل ما بين الشيخين خلاف حقيقي، وعليه ابن عرفة والشيخ خليل حيث قال ما نصه: ممزوجا بكلام الزرقاني وهل الامام المقتدى به في الذبح هو إمام الطاعة وهو العباسي فيلزم تحري أهل بلاده كلها لذبح فيما يظهر، واعترض الشيخ فبقوله تحرى أهل بلاده كلها لذبحه بأنه فيه نظر وقصور وأن الصواب على هذا القول كل بلد يعتبر عاملها واستشهد عليه بنص اللخمي المتقدم، ثم قال المصنف بمزجه أو إمام الصلاة للعيد المستخلف عليها سواء استخلف على غيرها أم لا، أي الذي يصلي خلفه العيد هـ.

❖❖❖

وعلى أن الخلاف حقيقي ذهب ابن عاشر وارتضاه الشيخ التاودي، ونص ابن عاشر: اعلم أن الايمة ثلاثة أقسام الخليفة أو من يقيمه مقامه في وجوب الطاعة وإقامة الحدود والجمعة، والثاني المستخلف على الصلاة دون غيرها من أمور الخلافة، الثالث المصلون دون استخلاف كأيمة القرى والعمود.

فالقسم الأول هو المراد بالعباسي والثاني هو المراد بإمام الصلاة الذي قال ابن رشد فيه بصحة الاعتبار قائلا إذا استخلف على ذلك، وأما القسم الثالث فلم يذكر عن أحد صحة اعتباره.

فينبغي أن يتفطن لهذا، فإن أهل البادية كثيرا ما يذبحون بذبح أيمتهم المصلين بهم دون استخلاف من قبل الأيمة أو أوامر يهم هـ. منه ونقله الشيخ التاودي وزاد ما نصه وقد ظهر من هذا أن الخلاف حقيقي لا يقضي خلافا للزرقاني والأجهوري قاله العلامة الرهوني. قال الزرقاني الرابع الثاني على تقرير اختلافهما هـ أو الخلف بينهما لفظي فقط لا معنوي وهو الذي رجع إليه الزرقاني أخيرا وان اعترض عليه علم ذلك من المصنف حيث قال: علم من المصنف أن كلامي صاحبي القولين يقول بقول الأخر فليس خلافا حقيقيا.

❖❖❖

وتقدم أن اللخمي يقول في نصه الإمام أو من يقيمه لصلاة العيد. وأيد الأيمة بناني القول بأن الخلاق لفظي بقوله نعم الظاهر من خارج انه لفظي، أما عبارة اللخمي فتقدمت، وأما عبارة ابن رشد فهي مانصه: المراعي للإمام الذي يصلي صلاة العيد بالناس إذا كان مستخلفا على ذلك هـ كلام ابن رشد،

❖❖❖

قال بناني فشرط في إمام الصلاة أن يكون مستخلفا ولاشك أن إمام الصلاح المستخلف هو الإمام أو من يقوم مقامه، وهو الذي تقدم عن اللخمي هـ.

قال العلامة الرهوني مؤيدا للقول بأن الخلاف لفظي ومن تأمل كلام ابن رشد في البيان وتأمل كلام اللخمي الذي قدمناه وانصف ظهر له أن الصواب ما قاله الشيخ بناني هـ.

يتبع

الحديث التاسع والستون: حفظ اللسان

في ظلال الحديث

نص الحديث: عن سهل بن سعد عن رسول الله (ﷺ) قال: "من يضمن لي مابين لحييه وما بين رجليه أضمن له الجنة" رواه البخاري.

■ إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

أهمية الحديث:

إن الغاية الكبرى لكل مسلم هي أن يخرج من هذه الدنيا وقد غفر الله له جميع ذنوبه حتى لايسأله الله عنها يوم القيامة ويدخله جنات النعيم خالدا فيها لايخرج منها أبدا، وهذا الحديث يذكر بعض الأعمال التي تكفر الذنوب والتي فيها الأجر الكبير، وهي حفظ اللسان والفرج، وتسخيرهما فيما يحب الله ورسوله.

مفردات الحديث:

"يضمن": أي يلتزم بالحفظ.

"مابين لحييه": اللحيان هما العظمان اللذان تنبث عليهما الأسنان علوا وسفلا، ومابين لحييه هو اللسان، وأبرزه في صورة التمثيل، ليكون التأكيد بليغا.

"مابين رجليه": كناية عن الفرج، فلا يزني، ولايأتي حراما.

المعنى العام:

إن كل مسلم عاقل تواق إلى الجنة، وما اعد الله فيها لعباده الصالحين، من نعيم مقيم، مما لا عين رأت، ولا خطر على قلب بشر، ولاينال ذلك بعد فضل الله ورحمته، وإخلاص العبودية لله عز وجل، وإقامة الدين، القيام بذلك الركن الذي قد يغفل عنه عدد من الناس إلا من رحم الله، ألا وهو حسن الأخلاق، والانضباط السلوكي، والحديث الذي بين أيدينا، هو واحد من بين عدد من الأحاديث النبوية الصحيحة، التي تعد أبواب للأجر ومكفرات للذنوب، ويركز فيه الحبيب المصطفى صلوات ربي وسلامه عليه على جانب مهم ألا وهو حفظ اللسان والفرج، وهذا الحفظ. كما يعلم الجميع ويدرك. هو أصل الحفظ كله، إذ أن شهوتي الكلام والفرج، شهوتان لايضبطهما إلا قوي، ومن استطاع ذلك، فإن رسول الله (ﷺ) يبشره بل يضمن له الجنة.

1. حصائد اللسان وخطرها: إن حصائد اللسان هي الأقوال المحرمة وهي أنواع كثيرة منها ما يوصل إلى الكفر ومنها دون ذلك فالاستهزاء بالله ودينه وكتابه ورسله وآياته وعباده الصالحين فيما فعلوا من عبادة ربهم، كل هذا قد يكون والعياذ بالله، كفرا بالله ومخرجا عن الإيمان، كما قرر علماء الأمة، وهو من أخطر حصائد اللسان، خصوصا إن كان ذلك عن علم ويقين، وسبق عزم ونية.

والكذب والغيبة والنميمة والفحش والسب واللعن كل هذا من حصائد اللسان وفي الحديث: "إن الله ليبغض الفاحش البذيء".

ولقد شاع في كثير من الناس أخلاق مشينة من حصائد اللسان فكثير من الناس. إلا من رحم الله. لا يبالون بالكذب ولايهتمون به ولا يستحضرون، أو يتغافلون عن قول النبي (ﷺ) :"إن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ولايزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا".

وكثير من الناس يظنون ظنونا كاذبة فيشيعها في الناس من غير مبالاة بها وربما كانت تسيء إلى أحد المسلمين وتشوه سمعته وليس لها حقيقة فيبوء بإثم الكذب وإثم العدوان على أخيه المسلم ويخشى أن يكون ممن قال فيهم النبي (ﷺ): "إن الرجل يتكلم بالكلمة لايرى بها بأسا يهوي بها سبعين خريفا في النار، وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جندب في رؤيا النبي (ﷺ): "أتاه ملكان فمروا على رجل مستلق على قفاه وآخر قائم عليه بكلوب من حديد فإذا هو يأتي أحد شقي وجهه فيشرشر شدقه ومنخره وعينيه إلى قفاه ثم يفعل بالشق الآخر كذلك فما يفرغ منه حتى يعود الجانب الأول صحيحا فيرجع إليه فيشرشره كما فعل في المرة الأولى فقال الملكان للنبي (ﷺ): هذا كذاب يكذب الكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به هكذا إلى يوم القيامة".

هؤلاء الذين ينقلون للناس مايفكرون به من أوهام لاحقيقة لها ربما يكون في كلامهم إلقاء للعداوة والبغضاء بين المسلمين فيتفكك المجتمع وتتفرق الجماعة من أجل أمور وهمية وظنون كاذبة. كثير من الناس ينقلون الكلام عن غيرهم بمجرد الإشاعات وربما لو بحثت عن هذا النقل لوجدته كذبا لا أصل له أو محرفا أو مزيدا أو منقوصا والمؤمن العاقل هو الذي يتثبت في الأخبار ويتحرى في نقلها حتى لاينقل إثما ولاكذبا، كما أمر بذلك رب العزة، وكما وفي الحديث الصحيح عن النبي : "إن الرجل ليتكلم بالكلمة مايتبين فيها أي مايتثبت ولايعلم هل هي خير أو شر صدق أو كذب؟ يزل لها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب؟ وفي الحديث عن النبي (ﷺ) أنه قال: "كفى بالمرء إثما "وفي رواية كذبا أن يحدث بكل ما سمع".

2. الغيبة والنميمة من أخطر حصائد اللسان: لقد انتشر بين كثير من المسلمين داءان عظيمان، لكن السلامة منهما يسيرة على من يسرها الله عليه، فلقد فشا فينا داء الغيبة وداء النميمة، أما الغيبة: فهي ذكر الإنسان الغائب بما يكره أن يذكر ما فيه من عمل أو صفة، وإن كثيرا من الناس صار همه في المجالس أن يأكل لحم فلان وفلان، فلان فيه كذا وفيه كذاومع ذلك لو فتشت وبحثت لرأيته هو أكثر الناس عيبا وأسوأهم خلقا وأضعفهم أمانة وإن مثل هذا الرجل يكون مشؤوما على نفسه ومشؤوما على جلسائه لأن جلسائه إذا لم ينكروا عليه صاروا شركاء له في الإثم وإن لم يقولوا شيئا.

ولقد صور الله الإنسان الذي يغتاب إخوانه المسلمين بأبشع صورة، مثله يمن يأكل لحم أخيه ميتا ويكفي قبحا أن يجلس الإنسان على جيفة أخيه من لحمه ويأكله، ولقد روي في ذلك حديث عن النبي (ﷺ)، فلقد مر النبي (ﷺ) ليلة المعراج بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم فقال: من هؤلاء ياجبريل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم وقال عليه الصلاة والسلام: "يامعشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لاتغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته".

وإن كثيرا من أهل الغيبة إذا نصحوا قالوا: نحن لانكذب عليه هو يعمل كذا ولقد قيل للنبي(ﷺ): "أرأيت إن كان في أخي ماأقول قال: إن كان فيه ماتقول فقد اغتبته وإن لم يكن فيه ماتقول فقد بهته". فبين لأمته أن الغيبة أن تعيب أخاك بما فيه أما إذا عبته بما ليس فيه فإن ذلك جامع لمفسدتين البهتان والغيبة.

ولقد عد علماء الأمة، الغيبة من كبائر الذنوب فاحذر منها، أيها المسلم الكريم، واشتغل بعيبك عن عيب غيرك وفتش نفسك هل أنت سالم؟ فربما تعيب الناس وأنت أكثرهم عيبا وإن كنت صادقا في قولك مخلصا في نصحك فوجدت في أخيك عيبا فإن الواجب عليك أن تتصل به وتنصحه، هذا هو مقتضى الأخوة الإيمانية والطريقة الإسلامية.

أما الداء الثاني الذي انتشر بين بعض الناس فهو داء النميمة وهي أن ينقل الكلام بين الناس فيذهب إلى الشخص ويقول قال فيك فلان كذا وكذا لقصد الإفساد وإلقاء العداوة والبغضاء بين المسلمين. وهذه هي النميمة التي هي من كبائر الذنوب ومن أسباب عذاب القبر وعذاب النار قال النبي (ﷺ) لايدخل الجنة نمام" ومر بقبرين فقال: "إنهما ليعذبان في كبير أي في أمر شاق تركه عليهما أما أحدهما فكان لايستبرئ من البول وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة".

ولذا وجب على من رغب في جنة النعيم أن يحفظ لسانه إلا عما ينفع به نفسه أو غيره، وهو ما عبر عنه النبي المصطفى (ﷺ) بذكر الله وما والاه من خيري الدنيا والأخرة.

3. موقف الإسلام من الزنا :

إن الإسلام يقف من هذه الجريمة موقف حزم وحسم، وصراحة وصرامة، إنه يمتدح الشهم الكريم الذي يغار على نفسه ويغار على حرماته، وحفظ فرجه، ويندد بالديوث الذميم الذي يقر الخبث في أهله. لتبقى الأعراض مصونة، والشرف موفورا عزيزا.

ولقد اقترن حال الزاني بحال المشرك في كتاب الله: "الزاني لاينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المومنين"سورة النور/الآية:3.

والزنا محرم بقواطع الأدلة: في محكم القرآن وصحيح السنة وإجماع أهل الملة بل إجماع أهل الملل. والحديث الذي بين أيدينا نفهم من مدلوله أن من أراد الجنة ونعيمها، عليه أن يحفظ فرجه، وهذا دليل على الوعيد للذي لايحفظون فروجهم.

والزنا قرين لأعظم موبقتين الشرك بالله وقتل النفس:(والذين لايدعون مع الله إلها آخر ولايقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولايزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وامن وعمل عملا صالحا"سورة الفرقان/الآيتان:70،68.

ولقد جعل الله حفظ الفرج من علامة الإيمان، وإحدى صفات المؤمنين، حيث قال تعالى : (والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم فإنهم غير ملومين)سورة النور/الآيتان:6،5 ولا يحفظ فرجه إلا طاهر متطهر، وافق ظاهره باطنه، فعف وتطهر، وسما وتنور بنور الإيمان، وكان في مصاف المؤمنين الذي (ﷺ) ورضوا عنه.

4. الحكمة من تحريم الزنا:

إذا نحن رجعنا إلى كتاب الله وسنة رسول الله (ﷺ)، نبحث عن السبب والحكمة في تحريم الزنا خصوصا والفاحشة بأنواعها عموما، فإننا سنجد على سبيل المثال، وليس الحصر، لأن الحكمة الحقيقية لايعلمها إلا رب العالمين، نقول أن من ذلك:

المحافظة على طهارة المجتمع الإسلامي، وصيانة أعراض المسلمين، وطهارة أنفسهم، والإبقاء على الكرامة الإنسانية، والحفاظ على شرف الأشخاص وشرف الأنساب، وصفاء الأرواح...

إضافة إلى ذلك الرغبة في الجنة ورضوان الله تعالى.

5. من حفظ لسانه وفرجه يكرم بالدخول إلى الجنة:

إن الرسول (ﷺ)، ومايتطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحي، يعد بل يضمن ممن حفظ لسانه عن اللغو والسوء، وكل مايغضب الرحمن، وفرجه إلا عن زوج أو ما ملكت يمينه، يضمن له الجنة، وهذا وعد أكيد الوفاء به، إذ أنه لايمكن أن يعد نبي الله وحبيبه وعدا لايستطيع الوعد به، وهذا الوعد إنما هو بضمان من الله تعالى، لأن الجنة جنته وهو الرحمن الرحيم، فمن أراد الفوز بالجنة فعليه بهذا الحديث أن يتمثله في حياته، وكذا غيره من الأحاديث التي جاءت في مجراه.

أسأل الله عز وجل لي وللقراء الكرام أن نكون من هؤلاء الذين أحبهم الله عزوجل، ووعدهم بالفوز العظيم على لسان نبيه الكريم.

فوائد الحديث:

حفظ اللسان والفرج من الوقوع في الحرام، سبيل لدخول الجنة والنجاة من النار.

أفكار الحديث:

- أعمال تدخل الجنة.
- فضل ترك الفواحش.
- فضل تحري الصدق.
- الابتعاد عن الحسد والظلم.
- النهي عن اللعن والسباب.
- فضل حفظ الفرج.
- الامتناع عن الغيبة.

خريج الحديث:

أخرجه البخاري في صحيحه، في الرقائق، باب حفظ اللسان، (ج5/ص2376/ح6109) والترمذي في سننه، في الزهد، باب ما جاء في حفظ اللسان، ج4/ص606/ح2408، بلفظ: "من وقاه الله شر ما بين لحييه، وشر ما بين رجليه دخل الجنة"، وابن حنبل في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث أبي مالك سهل بن ساعد الساعدي ج4/ص398/ح19577، فقال، "من توكل لي مابين لحييه ومابين رجليه، توكلت له الجنة"وأخرجه ابن حبان في صحيحه ج13/ص9/ح5701، ومالك في الموطأ، كتاب الجامع، باب ما جاء فيما يخاف من اللسان، ج2/ص988/ح1787. وغيرهم.

سند الحديث:

هذا الحديث أخرجه البخاري،فقال: حدثنا محمد بن أبي بكر المقدمي حدثنا عمر بن علي سمع أبا حازم عن سهل بن سعد، عن النبي (ﷺ) وذكر الحديث، وهذا تعريف موجز عن رجال السند:

محمد بن أبي بكر المقدمي: هو أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن علي بن عطاء بن مقدم المقدمي الثقفي مولاهم البصري. كان ثقة، قال أبو زرعة ثقة وقال أبو حاتم صالح الحديث محله الصدق. قال البخاري وغير واحد مات سنة 234هـ.

عمر بن علي: هو أبو حفص عمر بن علي بن عطاء بن مقدم المقدمي البصري. قال عبد الله بن أحمد سمعت أبي ذكره فأثنى عليه خيرا وقال كان يدلس وقال ابن معين كان يدلس وما كان به بأس، وقال هشام بن عروة والأعمش كان رجلا صالحا ولم يكونوا ينقمون عليه غير التدليس وأما غير ذلك فلا ولم أكن أقبل منه حتى يقول حدثنا وقال أبو حاتم محله الصدق وذكره ابن حبان في الثقات وقال الساجي صدوق ثقة كان يدلس ونقل ابن خلفون توثيقه عن العجلي. مات في جمادى الأولى سنة 190.

أبو حازم: هو أبو حازم سلمة بن دينار المخرومي مولاهم المدني الأعرج الأفزر التمار القاص الواعظ الزاهد عالم المدينة وقاصها أو شيخها وكان ثقة فقيها ثبتا كثير العلم كبير القدر، وكان يتقشف ويلزم الورع الخفي والتخلي بالعبادة ورفض الناس وما هم فيه. قال ابن خزيمة لم يكن في زمانه أحد مثله وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم مارأيت أحدا الحكمة أقرب إلى فيه من أبي حازم.

أرخ جماعة موته في سنة 140هـ، وقيل 135هـ.

سهل بن سعد: هو أبو العباس سهل بن سعد بن مالك بن خالد الساعدي الأنصاري الخزرجي، هو وأبوه صحابيان، كان اسمه حزنا فسماه النبي (ﷺ) سهلا، وكان عمره يوم توفي النبي (ﷺ) خمس عشر سنة، وعاش وطال عمره حتى أدرك الحجاج بن يوسف الثقفي، توفي سنة 988هـ وقد جاوز عمره المائة وهو آخر من مات من الصحابة بالمدينة، روي عنه مائة وثمانية وثمانون (188) حديثا، اتفق البخاري ومسلم على ثمانية وعشرين (28) منها وانفرد البخاري بأحد عشر (11) حديثا.

حديث المنابر

أحوال الإنسان في الدنيا

الحمد لله الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور، وأشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له يحيي ويميت، وهو حي لايموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمدا عبده ورسوله البشير النذير، والسراج المنير. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين وعدهم الله بالمغفرة والأجر الكبير، وسلم تسليما...

أما بعد: أيها الناس: اتقوا الله تعالى، واعلموا أنكم ماخلقتم عبثا، ولم تتركوا سدى، لقد خلقكم الله عز وجل لعبادته، وأمركم بتوحيده وطاعته، وأوجدكم في هذه الدار وأعطاكم الأعمار، وسخر لكم الليل والنهار، وأمدكم بنعمه ظاهرة وباطنة، وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، لتستعينوا بذلك على طاعة الله، وأرسل إليكم رسوله بشيرا ونذيرا، وأنزل عليكم كتابه ليبين لكم ما يجب ومايحرم، ومايَنفع ومايضر وما أنتم قادمون عليه من الأخطار والأهوال لتأخذوا حذركم وتستعدوا لما أمامكم.

أيها المؤمنون، أيتها المؤمنات: لقد جعل الله هذه الدنيا دار عمل، والآخرة دار جزاء، وحذركم من الاغترار بهذه الدنيا والانشغال بها عن الآخرة، لأن الدنيا ممر والآخرة هي المقر، وإذا لم تسر لها أيها العبد إلى الله بالأعمال الصالحة، وتطلب الوصول إلى رضوانه وجنته، فإنه يسار بك وأنت لاتدري، أيامك ولياليك تسير بك نحو أجلك، وعما قريب تصل إلى نهايتك من هذه الدنيا، وبدايتك من الدار الآخرة، وإني لأرجو الله الرحمن الرحيم، أن لايجعلني وإياك، مثل ذلك الذي رأى أجله قد حضر، فاستيقظ من غفلته، وتوجه إلى ربه قائلا: "رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون)سورة المنافقون/الأيتان:11.10

واعلم رحمك الله: إنك في هذه الدنيا تتقلب بين أحوال ثلاثة:

الحالة الأولى

تكون في نعم تتوالى من الله عليك تحتاج إلى شكر، والشكر مبني على أركان ثلاثة:

أ. الاعتراف بنعم الله باطنا، والتحدث بها ظاهرا، وتصريفها في طاعة موليها ومعطيها. فلا يتم الشكر إلا بهذه الأركان، ولاتستقر النعم إلا بالشكر "وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد"سورة إبراهيم/الآية:7.

الحالة الثانية:

مما يجري على العبد في هذه الدنيا من محن وابتلاءات من الله يبتليه بها، فيحتاج إلى الصبر والاحتساب، يقول الله تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)سورة الزمر/الآية:10.

والله سبحانه لايبتلي العبد المؤمن ليهلكه، وإنما يبتليه ليمتحن صبره وعبوديته لله، فإذا صبر صارت المحنة في حقه منحة، واستحالت البلية في حقه عطية، وصار من عباد الله المخلصين الذي ليس لعدوهم سلطان عليهم، كما قال تعالى عن إبليس: (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون، إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون)سورة النحل/الآية:10099.

والحالة الثالثة:

ابتلاؤه بالهوى والنفس والشيطان، فالشيطان هو العدو الأكبر، وهو ذئب الإنسان وعدوه، وإنما يغتاله ويظفر به إذا غفل عن ذكر الله وطاعته، واتبع هواه وشهوته، ولكن الله سبحانه فتح لعبده باب التوبة والرجوع إليه، فإذا تاب إلى الله توبة صحيحة تاب الله عليه وخلصه من عدوه ورد كيده عنه. وإذا أراد الله بعبده خيرا فتح له باب التوبة والندم والانكسار والاستعانة بالله ودعائه والتقرب إليه بما أمكن من الحسنات، وأراه عيوب نفسه وسعة فضل الله عليه، وإحسانه إليه ورحمته به. فرؤية عيوب النفس توجب الحياء من الله والذل بين يديه، والخوف منه. ورؤية فضل الله توجب محبته، والطمع بما عنده، فيكون بين الخوف والرجاء، ويكون من الذين قال فيهم رب العزة: "تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا ومما رزقناهم ينفقون"سورة السجدة/الآية:16.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، وفي أحاديث سيد الأولين والآخرين، وأجارنا من عذابه المهين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية

الحمد لله على نعمه باطنه وظاهرة، جعل الدنيا مزرعة للآخرة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له، له الحمد في الأولى والآخرة. وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المؤيد بالمعجزات الباهرة. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه نجوم الهدى الزهرة، وسلم تسليما كثيرا..

أما بعد، أيها الناس: اتقوا الله تعالى وتأملوا في دنياكم وسرعة زوالها، وتغير أحوالها، فإن ذلك يحملكم على عدم الاغترار بها، ويحفزكم على اغتنام أوقاتها قبل فواتها. يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: فإن ضعفت النفس عن ملاحظة قصر الوقت وسرعة انقضائه، فليتدبر قوله عز وجل: (كأنهم يوم يرون مايوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار)سورة الأحقاف/الآية:35.وقوله عزوجل:(قال كم لبثتم في الأرض عدد سنين، قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم فاسأل العادين، قال إن لبثتم إلا قليلا لو أنكم كنتم تعلمون)سورة المؤمنون/الآيات:114.113.112، ولقد خطب النبي (ﷺ) أصحابه يوما فلما كانت الشمس على رؤوس الجبال، وذلك عند الغروب قال: "إنه لم يبق من الدنيا فيما مضى إلا كما بقي من يومكم هذا فيما مضى منه" فليتأمل العاقل الناصح لنفسه هذا الحديث، وليعلم أي شيء حصل له من هذا الوقت الذي بقي من الدنيا بأسرها ليعلم أنه في غروب وأضغاث أحلام.

فاتقوا الله. عباد الله. واعلموا أن الدنيا محطة تنزلون فيها في سفركم إلى الآخرة لتأخذوا منها الزاد لذلكم السفر (وتزودوا فإن خير الزاد التقوى) سورة البقرة/الآية:197.

فاتقوا الله عباد الله (ولاتكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون) واعملوا على توثيق الصلة بربكم، وانظروا لما بعد الموت، تكونوا من الراشدين.

وأكثروا من الصلاة والتسليم على النبي المصطفى الكريم، سيدنا محمد سيد الأولين والآخرين، وإمام المتقين، فاللهم صل على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى ال سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد، وارض اللهم عن الصحابة أجمعين وخصوصا الأنصار منهم والمهاجرين، وانفعنا اللهم بمحبتهم، واحشرنا يا مولانا في كريم زمرتهم، ولاتخالف بنا عن نهجهم وطريقتهم، ياأكرم مسؤول ويا خير مأمول.

وانصر اللهم ملك البلاد، الملك محمد السادس، نصرا محفوفا بالرشاد، وأيده ببطانة من أصلح العباد، واجعله عونا على الحق وضدا على الفساد، واحفظه في ولي عهده الأمير الجليل مولاي الحسن، وفي جميع العائلة الملكية الشريفة، واجعل اللهم ولاية المسلمين في خيارهم وانزعها من شرارهم.

وانصر اللهم الإسلام والمسلمين ووحد على الحق صفهم، واعل شأنهم بين الأمم، وردهم إلى صراطك المستقيم ردا جميلا، اللهم أعل راية الجهاد والمجاهدين وانصر اللهم المستضعفين في كل مكان وأرنا بطشك وعظمتك ونقمتك في كل من خذل هذا الدين.

اللهم أصلح ذات بيننا، واجمع شملنا ووحد صفوفنا، واجمع كلمتنا واجعلنا لك شاكرين، لك ذاكرين، لك راهبين، لك طائعين، وإليك أوابين منيبين، ربنا تقبل توبتنا، وأجب دعوتنا، وثبت حجتنا، واهد قلبنا وسدد ألسنتنا، اللهم إنا نعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق.

اللهم طهر قلوبنا من النفاق، وأعمالنا من الرياء، وألسنتنا من الكذب وأعيننا من الخيانة، فإنك تعلم خائنة الأعين وماتخفي الصدور.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح لنا آخرتنا التي فيها معادنا، واجعل الحياة زيادة لنا من كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر، اللهم اغننا بالعلم، وزينا بالحلم، وأكرمنا بالتقوى وجملنا بالعافية.

اللهم اغفر لأبائنا وارحمهم وتقبلهم في عبادك الصالحين، الأحياء منهم والأموات أجمعين يارب العالمين.

ربنا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا لاتحمل علينا إصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

صفة المومن

■ بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

قال (ﷺ): المومن للمومن كالبنيان يشد بعضه بعضا وشبك بين أصابعه، وقال (ﷺ): إنما المومنون مثل رجل أو كرجل إذا اشتكى علياه اشتكى كله، وقال (ﷺ): المومن براءة المومن، والمومن آخو المومن، من حيث لقيه يفك عنه ضيعته ويحوطه من ورائه، وقال (ﷺ): ما من مسلم يخذل مسلما في موطن تنتهك فيه حرمته، وينقص فيه من عرضه إلا خذله الله في موطن يحب فيه نصرته، وقال (ﷺ): ألا اخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة قالوا: بلى، قال: صلاح ذات البين، فإن إفساد ذات البين هي الحالقة، أخرجه المنذري عن أبي الدرداء.

وقال (ﷺ): لا يدخل الجنة قتات أي نمام، وقال (ﷺ): لا تبلغوني عن أحد من أصحابي، فإني أحب أن أخرج إليكم وانا سليم الصدر، وقال عليه الصلاة والسلام: لا يومن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه.

وعنه(ﷺ): من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فليتذكر منيته، وهو يومن بالله واليوم الآخر ويأتي من الناس ما يحب أن يوتيه من الخير، وقال (ﷺ): إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا ولا تحسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله إخوانا.

وقال (ﷺ): إياكم والحسد فإن الحسد ياكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، يعني العتب، وعن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال النبي (ﷺ): دب إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء، هي الحالقة لا أقول حلق الشعر ولكنها تحلق الدين، والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تومنوا، ولا تومنوا حتى تحابوا، ألا أخبركم بما يثبت ذلك لكم: افشوا السلام بينكم، وقال يا معشر من آمن بلسانه، ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من يتبع من المومنين عورة أخيه المومن يتبع الله عورته، ومن يتبع عورته يفضحه في بيته وقال (ﷺ): لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تناجشوا ولا يبع بعضكم على بيع بعض وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره التقوي هاهنا يشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه.

وقال (ﷺ) : ليس الشديد بالصرعه قيل فمن الشديد يا رسول الله؟ قال: الذي يملك نفسه عند الغضب، وقال (ﷺ): ما جرع عبد جرعة أعظم أجرا عند الله عز وجل من جرعة غيض كظمها رجل أو جرعة صبر عند مصيبة أو قطرة أحب إلى الله من قطرة دمع من خشية الله أو قطرة دم في سبيل الله.

وعنه (ﷺ): أكمل المومنين إيمانا أحسنهم خلقا، وفي حديث عائشة رضي الله عنها عنه (ص): ان المومن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل وصائم النهار، وعنه (ﷺ): من أعطى حظه من الرفق فقد أعطى حظه من الخير.

ومن حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير، وقال (ﷺ): أثقل شيء في ميزان المومن خلق حسن، إن الله يبغض الفاحش البديء.

وعليه (ﷺ): "ان الله كريم ويحب معالي الأخلاق ويكره سفاسفها"، معاليها كالصبر والتواضع وسلامة الباطن والزهد وحسن الخلق وسفاسفها أي دنيها كالكبر والحقد والغضب والحسد وسوء الخلق.

وقال (ﷺ): المومن غر كريم والفاجر خب لئيم، قال بعض العلماء في المومن: لمحمود من كان طبعه الظرارة وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه وليس ذلك جهلا منه بل كرم، وحسن خلق ، والفاجر من كانت عادته الخب والدهاء والوغول في معرفة الشر، وليس ذلك منه عقلا بل خب ولوم.

وعنه (ﷺ): من كان هينا سهلا قريبا حرمه الله على النار، وعنه (ﷺ) مخاطبا لحذيفة رضي الله عنه: يا حذيفة أما علمت أن المرء المسلم إذا لقي أخاه مصافحة وحمد الله واستغفر غفر لهما، وقال (ﷺ): لا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان يصد هذا ويصد هذا وخيرهما الذي يبدأ بالسلام.

وقال عليه الصلاة والسلام لا يحل لمسلم أن يصارم أخاه فوق ثلاث فإنهما شاكيان عن الحق ماداما على صرامهما، وأن أولهما فينا في رجوعه بأن سبقه بالفيء له فإن سلم عليه ولم يقبل سلامه ورد عليه سلامه ردت عليه الملائكة، ورد على الآخر شيطان، فإن لم يجتمعا في الجنة.

وقال (ﷺ) : من هجم أخاه فهو كسفك دمه وعنه (ﷺ) تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين ويوم الخميس فيغفر لكل عبد مومن لا يشرك بالله شيئا إلا رجل كان بينه وبين أخيه شحناء فيقل انظروا هاذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا هـ.

خرجها أبو بكر
ح ع.د 2568

مصطلح المشيخة ومدلولها عند العلماء

■ إعداد الأستاذة: مارية البحصي

■ لعب الشيوخ في حياة العلماء دورا رائدا وكبيرا، فعلى يدهم يتم تعليم طلبة العلم، ويفضلهم تدرس مختلف العلوم والمعارف المتنوعة، وقد كانت لهم قيمة عظمى في المسار الثقافي المغربي، إذ كلما علا شأن شيوخ الفقيه العالم كلما علا شأنه، وبكثرتهم يزداد قيمة ومصداقية لنقل العلم إلى الأجيال التي ستأتي بعده.

وإذا كانت قيمة العلماء تقاس بحجم مشيختهم، فإنه حري بنا أن نتعرف على مدلول هذه الكلمة، والحمولات التي تفيدها.

الشيخ لغة: فوق الكهل، وقيل أيضا: من استبانت فيه السن وظهر عليه الشيب، أو من خمسين أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره، أو إلى الثمانين وجمعه: أشياخ وشيخان وشيوخ وشِيَخَة وشيخة ومَشْيَخَة ومَشيخة ومشيخةومشيوخاء ومشايخ. وتصغيره: شُيخ وشُوَيْخ، والشيخوخة مصدر شاخ يشيخ، وامرأة شيخة، والمشيخة اسم جمع للشيخ.

وللشيوخ تجربة بالأمور وخبرة بالأشياء، وللشبان إقدام هم به أولى، وعليه أقوى، وقد يختلف هذا فيكون للشيوخ إقدام لكونهم أصبر وبالمكائد أعرف، يقول أبو الطيب المتنبي:

سأطلب حقي بالقنا ومشايخ كأنهم من طول ما التثموا مرد

كما قد يكون للشباب معه تدبير ورأي وغناء، قال أيوب عليه السلام: "إن الله يزرع الحكمة في قلب الصغير والكبير".

ويروى أنه دخل الحسين بن الفضل على بعض الخلفاء وعنده كثير من أهل العلم فأحب أن يتكلم، فقال: صبي يتكلم في المقام، فقال: إن كنت صبيا فلست بأصغر من هدهد سليمان، ولا أنت بأكبر من سليمان حين قال: أحطت بما لم تحط به، ثم قال: ألا ترى أن الله فهم الحكم لسليمان، ولو كان الأمر بالكبر لكان داوود أولى، وعن علي بن جهم قال: أمر أبي المعلم أن يحصرني: فكتبت إلى أمي:

أمي جعلت فداك من أم أشكو إليك فضاضة الجهم
قد سرح الصبيان كلهم وبقيت محصورا بلا جرم

وقد يطلق الشيخ ويراد به الكبير المرجوع إليه، وبهذا الاعتبار سُمّي المعلم شيخا، كما عبروا به عمن يكثر علمه لما كان شأن الشيخ أن تكثر تجاربه ومعرفته.

واعلم أن الشيخ في الاصطلاح على أقسام ثلاثة:

×شيخ التعليم: ووظيفته الإخبار بالأحكام، وبيان مايحتاج إليه.

×شيخ التربية: ووظيفته تدريج المريد في طريقه، ومعالجته بما يصلح به حاله.

×شيخ الترقية: ووظيفته التوجه إلى الله تعالى في صلاح المريد.

وضرب أبو علي اليوسي لذلك مثلا فقال: "وذلك إن المريد لو وجد في نفسه صفة كالكبر مثلا فإن شيخ التعليم يخبره بأنها من المحرمات المهلكات، وشيخ التربية يأخذ معه في معالجتها على ما يجده ببصيرته النورانية وفراسته الربانية، كأن يأمره بحزمة من حطب يحملها ويشق بها الأسواق، أو يأمره بحلق رأسه، أو يلقنه ذكرا أو دعاء أو غير ذلك، وشيخ الترقية ينبهه على الطريقة والأدب، ويتوجه إلى الله تعالى في أن يطهره منها بحوله وقوته، فيربيه بهمته، وقد يحصل له بمجرد ملاحظة أو مخاطبة ما لا يحصل بالتربية دهرا طويلا، وقد تجتمع هذه الأمور في واحد فيعلم ويربي ويرقي، وهو الكامل.

واعلم أن هذه الأحوال الثلاثة مأخوذة من حاله (ﷺ)، فهو أصلها (ﷺ) جمعها على أكمل حال.

أما التعليم فواضح، وهو ظاهر الشريعة وأصل البعثة.

وأما التربية فقد كان (ﷺ) في أصحابه يربي بالأذكار والأدعية والوصايا المختلفة، كل بما يصلح له.

وأما الترقية فواضح أيضا، فقد كان الرجل يكون فاجرا وبنفس مشاهدة طلعته الكريمة يخشع ويطمئن بالإيمان، ويتنور قلبه، ولذلك قالوا: مانفضنا أيدينا من التراب من دفنه (ﷺ) حتى أنكرنا قلوبنا، ومعرفتهم الزيادة والنقصان دليل الصفا بصحبته (ﷺ).

وقال الشيخ زروق: الشيوخ ثلاثة:

×شيخ التعليم: وشروطه ثلاثة: تحصيل عند الباب المتكلم فيه، والقدرة على الإلقاء بلا تقصير، والإنصاف في الرد والقبول.

×وشيخ التربية: وشروطه ثلاثة: علم المعاملات ظاهرا وباطنا، والبصيرة النافذة، والتجربة الحاصلة.

×وشيخ الترقية: وشروطه ثلاثة: البصيرة النافذة، والنور التام، والهمة العالية.

فبالبصيرة يميز، وبالنور يمد، وبالهمة يرفع ويحط، كما أن الذي قبله بالعلم يربي، وبالبصيرة يوقع، وبالتجربة يحقق.

****

بالاعتماد على:

. لسان العرب.... للعلامة ابن منظور، دارصادر، بيروت.

. فهرسة: "حديقة الأزهار في ذكر معتمدي من الأخيار" لمحمد بن المعطي المراكشي، تحقيق: الأستاذة: مارية البحصي.

عظمة الرسالة المحمدية بالمقارنة مع الرسالات السماوية السابقة

■ إعداد : أحمد بودهان

الحلقة الثانية

رسالة محمد عالمية

1 . عظمة الرسالة المحمدية تتجلى أولا في كونها « رسالة عالمية» وهذا امر بديهي ، ولا يحتاج إلى تحليل أو تنظير ، لذا فإننا سنكتفي فقط بالتذكير بأهم النصوص القرآنية والسنة الدالة على عالمية هذه الرسالة المحمدية بالمقارنة مع الرسالات السماوية السابقة: يقول تعالى : «قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا» ويقول سبحانه » وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين» سورة الأنبياء / الآية: 107 ويقول عز وجل » وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا سبأ / الآية 28. ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه الشيخان في صحيحيهما عن جابر» اعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي من الأنبياء : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا، وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس كافة».

رسالة محمد خاتمة:

. **ثانيا** تتجلى عظمة الرسالة المحمدية في كونها رسالة « خاتمة» لكل الرسالات السماوية السابقة : وهذا أمر له من الأهمية بمكان باعتبار أن الأمور بخواتمها وغاياتها ، وان أهم ما في الرسالات السماوية البداية والنهاية الخاتمة للبداية، فكانت رسالة آدم أبا البشر، هي البداية ، وكانت رسالة محمد صلى الله عليه وسلم، سيد البشر هي الخاتمة، وما بين البداية والنهاية سلسلة طويلة من الرسالات، بمثابة تمهيد فقط للوصول إلى الغاية ، وهي خاتمة الرسالات، وذلك تمشيا مع سنن التطور والرقي الفكري البشري الإنساني حتى يصل إلى المستوى العقلي الذي يمكنه من استيعاب تعاليم هذا الدين وشرائعه ولما وصل إلى ذلك جاءت الرسالة الموعودة التي وعد الله بها معظم الرسل السابقين كبشارات بمجي ء الرسالات المحمدية العالمية والخاتمة حيث لانبي بعده ولا رسول فقال تعالى: « ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيئين...» سورة الأحزاب الآية :40.

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم » إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بنيانا فزحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيئين» متفق عليه

رسالة الرسول رسالة إكمال وإتمام للدين

ثالثا: تتجلى عظمة الرسالة المحمدية في كونها رسالة إكمال وإتمام لهذا الدين الذي ارتضاه الله لعباده أجمعين..

وهذه ميزة كبرى للرسالة المحمدية ما بعدها ميزة إلى درجة أن اليهود غاروا وحسدوا وحقدوا عندما علموا بنزول الآية التي تتحدث عن إكمال هذا الدين على يد محمد ، وكأنهم يقولون مستغربين : لماذا لم يكتمل هذا الدين في عهد الرسل السابقين، حتى جاء عهد محمد ؟! والآية المتعلقة بإكمال هذا الدين في عهد الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، هي قوله تعالى : ضمن الآية الثالثة من سورة المائدة : «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» سورة المائدة/الآية: 3. وقد ذكر علماء التفسير في شأن هذه الآية . ومنهم ابن كثير. فقالوا: يستفاد من هذه الآية وما في معناها ، أنها أكبر نعمة أنعمها الله على هذه الأمة ، حيث أكمل لها هذا الدين في زمن رسولها محمد خاتم الأنبياء والرسل، وأتمه حيث لا نقص فيه ، ثم رضيه لها كدين وحيد لجميع البشرية ، مصداقا لقوله سبحانه » إن الدين عند الله الإسلام»

وقوله عز وجل » ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه»

ويبدو أن اليهود خاصة قد أدركوا أبعاد ما توحي به هذه الآية أكثر من غيرهم ، فتأكدوا أن هذا الدين لم يكتمل في عهد آدم ، ولا في عهد نوح ولا في عهد إبراهيم، ولا في عهد موسى ، ولا في عهد عيسى وهم أولو العزم من الرسل ، وإنما اكتمل في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو خاتم الرسل ، وآخر أولي العزم منهم...

ومما يدل على حساسيات اليهود، وإدراكهم لأبعاد هذه الآية كنوع من الحسد أو الاغتباط، ما ذكرته العديد من الروايات وبطرق مختلفة أنهم قالوا لعمر بن الخطاب: لو أننا نحن معشر اليهود نزلت علينا هذه الآية في التوراة لاتخذنا يومها عيدا...!! فقال عمر» والله إنني لأعلم اليوم والساعة التي أنزلت فيه.. إنها نزلت عشية يوم عرفة ، وكان يوم جمعة ، وكلاهما عيدا...

ومن هنا يعتبر نزول هذه الآية من أكبر نعم الله على هذه الأمة المحمدية، وبالتالي هي أكبر مظهر من مظاهر عظمة هذه الرسالة التي جاءت على يد محمد صلى الله عليه وسلم ، كما أن هذه الآية هي آخر آية نزلت في القرآن على أرجح الروايات ، وإنها توحي بانتهاء مسؤولية الرسول في هذه الدنيا ، فكان خطاب الوداع منه صلى الله عليه وسلم حتى بكى بعض الصحابة...

رسالة الرسول مصححة للعقيدة

. **رابعا** تتجلى عظمة الرسالة المحمدية في كونها مصححة للعقيدة بل ومصححة للعديد من أحكام الشريعة التي حرفت من طرف أهل الكتاب...

فبالنسبة لتصحيح العقيدة ، نحن نعلم أن عقيدة أهل الكتاب ليست عقيدة توحيدية سليمة وصحيحة ، إذ كيف يعقل أن تكون عقيدة صحيحة في الله وهم ينسبون إلى الله «النبوة ، فيقولون : عزير ابن الله ، والمسيح ابن الله ، كما يخبرنا القرآن بذلك على لسان اليهود، وعلى لسان النصارى. التوبة الآية: 30. ويقول القرآن أيضا وهو يخبرنا بأنهم كفرة بما قالوا وزعموا «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم» سورة المائدة/ الآية: 72. كما يخبرنا القرآن بكفرهم كذلك حين قالوا « بالتثليث» : «لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ....» سورة المائدة / الآية: 73.

وتتجلى عظمة الرسالة المحمدية بالنسبة لهذا الموضوع الخاص بتصحيح عقيدة أهل الكتاب، في كون هذه الرسالة ممثلة في القرآن العظيم الذي هيمن على كل الكتب السماوية مصدقا لما جاء فيها من جهة ، وكاشفا وفاضحا للتحريف والتشويه الذي لحقها وخاصة في أمور العقيدة كما قلنا من جهة ثانية وكل هذا جاء مصداقا للآية » وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه» سورة المائدة/ الآية 48.

ومن هنا فإن أصح عقيدة دينية هي عقيدة المسلمين ، مصداقا لقوله تعالى » قل هو الله أحد الله الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد» سورة الإخلاص.

هذا بالإضافة إلى تحريف أهل الكتاب للشرائع أيضا...

نعم . هذا قليل من كثير من مظاهر عظمة الرسول محمد صلى الله عليه وسلم وعظمة رسالته التي جاءت عالمية ، وخاتمة، ومكملة للدين، ومصححة للعقيدة ، وناسخة للشرائع السابقة ، الشيء الذي اقتضت معه الإرادة الإلهية أن يختاره صلى الله عليه وسلم بأن يكون رحمة للعالمين ، ورسولا لكل البشر أجمعين. وسيد الكونين والثقلين... ورحم الله « الإمام البوصيري» إذ يقول في بردته وهمزيته عن عظمة هذا الرسول وعظمة رسالته:

« محمد سيد الكونين والثقلين
والفريقين من عرب ومن عجم

ويقول:

دع ما ادعته النصارى في نبيهم
واحكم بما شئت مدحا فيه واحتكم
وانسب لذاته ما شئت من شرف
وانسب لقدره ما شئت من عظم
فإن فضل رسول الله ليس له
حد فيعرب عنه ناطق بفم

ويقول في همزته عن ليلة مولده:(ﷺ)

ليلة المولد الذي كان للد
ين سرور بيومه وازدهاء
وتوالت بشرى الهواتف أن
قد ولد المصطفى وحق الهناء

وقد حاول أمير الشعراء أحمد شوقي أن ينسج على منواله معارضا، فيقول في همزيته :

« ولد الهدى فالكائنات ضياء
وفم الزمان تبسم وسناء

ثم اعتذر رحمه الله عن معارضة البوصيري تواضعا منه واحتراما لصاحب البردة ، فقال:

المادحون وأرباب الهوى تبع
لصاحب البردة الفيحاء ذي القدم
والله يشهد أني ما أعارضه
فمن ذا الذي يعارض صون العارض العدم
إنما أنا بعض الغابطين ومن
يغبط أولئك لا يذمم ولا يلم

قلت.. هذا قليل من كثير بخصوص مظاهر عظمة هذا الرسول، وعظمة رسالته بالمقارنة مع الرسالات السماوية السابقة، تعرضنا له باختصار بمناسبة ذكرى مولده صلى الله عليه وسلم .. تلك الذكرى التي يحييها العالم الإسلامي عموما والمغاربة خصوصا ولاسيما في عهد ملوك الدولة السعدية إلى أن بلغ ذلك أوجه في عهد ملوك الدولة العلوية ... تلك الذكرى التي ما فتئ أمير المؤمنين جلالة الملك محمد السادس يولي لها عنايته الكبرى تعبيرا من جلالته عن محبته لجده المصطفى صلى الله عليه وسلم . وتأسيا بسنته واقتداء بسلوكه عليه الصلاة والسلام ، وتذكيرا بسيرته العطرة... وهذا أفضل ما نقدمه لروح رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذكرى مولده عليه السلام مصداقا للآية «قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم.»

كما أن رسول الله سئل عن يوم الإثنين أو صوم يوم الاثنين فقال : «ذاك يوم ولدت فيه....»

إصدار

أصدرت جمعيت الإمام البخاري العدد الثاني من " مجلة السنة النبوية" في موضوع " الإمام مالك والموطأ " ومن بين الموضوعات التي اشتمل عليها.

الموطأ من أوائل المصنفات في المذهب المالكي.
الإمام مالك حياته ومذهبه في تأليف المستشرقين.
. مناهج البحث وقواعد الاجتهاد عند الإمام مالك.
لمحلة عن أصول فقه الإمام مالك،
. واقعية المذهب المالكي في الأخذ بالمصلحة المرسلة .
عمل أهل المدينة مظهر اجتهاد مالك وعبقريته.
. اشهر روايات موطإ مالك بن أنس.
بلاغات الموطإ ووصلها.
. شبهات حول الموطإ وردها.
. أثر موطإ مالك في حياة أهل المغرب.

أولوا العزم من الرسل

سيدنا عيسى عليه السلام

■ الأستاذة: نبوية الناصري

... كذلك جاء في قوله تعالى مخبرا عن الحواريين وهم الفئة القليلة من بني إسرائيل التي آمنت لعيسى: (يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله، كما قال عيسى بن مريم للحواريين من أنصاري إلى الله، قال الحواريون نحن أنصار الله، فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين) سورة الصف/الآية:14.

قيل، إن عدد الحواريين كان سبعة عشر رجلا، لكن الروايات الأرجح أنهم كانوا إثنى عشر رجلا. آمن الحواريون، لكن التردد لايزال موجودا في نفوسهم. أخبر الله تعالى بموقفهم المتردد في سورة المائدة: (إذ قال الحواريون ياعسيى بن مريم، هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء. قال اتقوا الله إن كنتم مؤمنين، قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا، ونعلم أن قد صدقنا ونكون عليها من الشاهدين، قال عيسى بن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لأولنا وآخرنا، وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين، قال الله إني منزلها عليكم، فمن يكفر بعد منكم، فإني أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين)الآيات:112.113.114.115.

إستجاب الله عز وجل لطلبهم، لكنه حذرهم من الكفر بعد هذه الآية التي جاءت تلبية لما رغبوا فيه. نزلت المائدة، وأكل الحواريون منها وظلوا على إيمانهم وتصديقهم لعيسى عليه السلام، إلا رجل واحد كفر بعد رفع عيسى عليه السلام فكانت هذه المائدة تنزل كل يومين مرة، كما كانت ناقة صالح تختفي يوما وتظهر يوما، واستمرت على ذلك أربعين يوما.

أسباب رفع سيدنا عيسى إلى السماء:

لما بدأ الناس يتحدثون عن معجزات سيدنا عيسى عليه السلام، خاف رهبان اليهود أن يتبع الناس الدين الجديد فيضيع سلطانهم، فذهبوا للملك تلك المناطق وكان تابعا للروم، وقالوا له: إن عيسى يزعم أنه ملك اليهود، وسيأخذ الملك منك. فخاف الملك، وأمر بالبحث عن عسيى عليه السلام ليقتله.

وروى الكلبي عن أبي صالح عن أبي عباس أن عيسى استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا: قد جاء الساحر ابن الساحر، فقذفوه فدعا عليهم، واجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى، واجتمعوا عليه ذات يوم وأخذوا يسألونه، فقال: يامعشر اليهود إن الله يبغضكم، فغضبوا من كلامه غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه.

وقال مقاتل: إن اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقيبا، يدور معه حيثما دار فصعد عيسى جبل الجليل فجاءه الملك فرفعه إلى السماء وألقى الله شبه عيسى على الرجل فأخذوه، وكان يقول لهم: إني لست عيسى، فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه.

قال تعالى في سورة آل عمران: (إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون، فأما الذين كفروا فأعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة ومالهم من ناصرين، وأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لايحب الظالمين)الآيتان:55.56.

قال السدي: إن عيسى رفع من كنيسة السليق ببيت المقدس، ولما رفع إلى السماء كساه الله أوصاف الملائكة.

وقال تعالى عن رفعه في سورة النساء: (وقولهم إنا قتلنا المسيح بن مريم رسول الله وماقتلوه، وماصلبوه ولكن شبه لهم، وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن، وماقتلوه يقينا، بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما، وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) الآيات:157.158.

يقول ابن عباس: افترق النصارى ثلاث فرق، فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، ويأتي الرد الإلهي على هذه الطائفة بقوله: في سورة المائدة:(لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، وقال المسيح يابني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار)الآية:72.

وفي سورة المائدة أيضا: (ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل، وأمه صديقة، كانا يأكلان الطعام، انظر كيف نبين لهم الآيات، ثم انظر أنى يؤفكون)الآية:75.

وفي سورة المائدة كذلك: (لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم، قل فمن يملك من الله شيئا إن أراد أن يهلك المسيح ابن مريم وأمه، ومن في الأرض جميعا، ولله ملك السماوات والأرض ومابينهما، يخلق مايشاء والله على كل شيء قدير)الآية:17.

وقالت طائفة: كان فينا ابن الله ما شاء ثم رفعه الله إليه. وجاء الرد الإلهي في سورة مريم: قال عز وجل(ذلك عيسى بن مريم قول الحق الذي فيه يمترون، ما كان لله أن يتخذ من ولد، سبحانه إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون، وإن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)الآيات:34.35.36.

كما جاء في سورة مريم ردا عن جرمهم:(وقالوا اتخذ الرحمن ولدا، لقد جئتم شيئا إدا، يكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هدا، أن دعوا للرحمن ولدا، وماينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا،إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبدا، لقد أحصاهم وعدهم عدا، وكلهم آتيه يوم القيامة فردا)الآيات:88.89.90.91.92.93.94.

وجاء في سورة الإسراء: (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك، ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا)الآية:110

وجاءفي سورة الإخلاص:(بسم الله الرحمن الرحيم، قل هو الله أحد، الله الصمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوا أحد)صدق الله العظيم.

فتظاهرت الطائفتان الكافرتان على الطائفة المسلمة فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامسا حتى بعث الله محمدا (ﷺ)، فذلك قوله تعالى: في سورة الصف:

(وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل، إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي إسمه أحمد، فلما جاءهم بالبينات، قالوا هذا سحر مبين. ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام، والله لايهدي القوم الظالمين، يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)الآية:6.

نبوة عيسى عليه السلام

لما طال الأمد على بني إسرائيل وقست قلوبهم، حرفوا شريعة الله التي جاءهم بها سيدنا موسى عليه السلام وانحرفوا عن الطريق الواضح وما أقامهم عليه الأنبياء من الطريق المستقيم وخرجوا إلى الإفراط والتفريط، فأرسل الله سبحانه وتعالى إليهم المسيح عيسى بن مريم نبيا ورسولا وهو في الثلاثين من عمره ليخلصهم مما هم فيه من انحطاط، فأعطاه الإنجيل هدى ونورا ليدعوهم إلى عبادة الله والرجوع إليه ومصدقا للتوراة التي سبقته على يد موسى عليه السلام ومبشرا بشريعة جديدة ورسول جديد اسمه أحمد.

فالمسيح عليه السلام لم يأت لليهود بشريعة جديدة، ولكنه جاءهم مكملا لشريعة موسى لاناقدا. جاءهم ليزحزهم عن الجمود على ظواهر ألفاظ شريعة موسى عليه السلام ويوقفهم على فقهها والمراد منها. وإذا نظرنا إلى ما جاء به المسيح عليه السلام لم نجد سوى عظات ونصائح وحكم وأمثال يريد بذلك توجيه اليهود إلى إخلاص العبادة لله تعالى، والتخفيف من مادياتهم التي غرقوا فيها، وأن يطلقهم من أسر الكهنة الذين يعوجون الشريعة ويستغلونها إرضاء لأهوائهم، ويبشرهم بمجيء محمد (ﷺ) الذي سيأتيهم بالشريعة الإلهية الدائمة، شريعة موجهة للإنسانية جمعاء.

ولم تطل نبوة عيسى عليه السلام سوى ثلاث سنين عاشها بعد بعثته وهو في الثلاثين من عمره، ورفعه الله إليه من بيت المقدس في ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة. عاشت أمه مولاتنا مريم عليها السلام من بعد رفعه ست سنين، وكانت مدة حياتها نحو خمسين سنة ودفنت ببيت المقدس.

ويخبرنا المولى عز وجل بحوار لم يقع بعد، هو حواره مع سيدنا عيسى عليه السلام يوم القيامة فيقول: (وإذ قال الله ياعيسى ابن مريم ءأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلاهين من دون الله، قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ماليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علمته، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب، ماقلت لهم إلا ما امرتني به، أن اعبدوا الله ربي وربكم، وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد، إن تعذبهم فإنهم عبادك، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم)سورة المائدة/الآيتان:116.117.

هذا هو عيسى بن مريم عليه السلام، آخر الرسل قبل سيدنا محمد (ﷺ).

خواطر وخلجات

■ محمد الخضر الريسوني

شيء من احترام اللغة العربية ياقوم

من الأخبار التي أحدثت السرور في قلوب المغاربة جميعا هذه الأيام خبر يقول بأن مجلس النواب صادق خلال جلسة عمومية على مشروع قانون يتعلق بإحداث أكاديمية محمد السادس للغة العربية، والمشروع كما جاء في كلمة النائب البرلماني الدكتور أحمد مفدي هو بادرة طيبة، ونقلة ثقافية ، موضحا أن بعض البلدان العربية كانت سباقة في هذا المجال اللغوي حين اهتدت إلى تأسيس مجامع اللغة العربية وانتقت من بين العلماء فضلاء هم ممن شهدت لهم مسيرتهم العلمية بالعطاء الثر وطول المراس وشمولية المعرفة ليكونوا حراسا على أبواب المجمع.

هذا المشروع في حالة تنفيذه جاء في وقته المناسب ليكون سندا وتأكيدا لضرورة تطبيق نصوص سابقة تهدف إلى إعطاء اللغة العربية ما تستحقه من اعتبار واحترام في إداراتنا ووسائل إعلامنا، فالدستور الصادر سنة 1962 ينص على أن اللغة الرسمية للمملكة المغربية هي اللغة العربية ، وكذا ظهير1961 ينص على رسمية اللغة العربية ولكن ويالأسف رغم مرور حوالي نصف قرن من الزمن على صدور أول قانون ينص على رسمية اللغة العربية فإن الإدارة المغربية وكذا المؤسسات العمومية التابعة لها ظلت ولازالت تتعامل داخليا ومع بعضها ومع المواطنين بالفرنسية غير آبهة بالدستور وبالمنشورات العديدة والمتوالية الصادرة من الوزراء الأولين التي تحثها على استعمال اللغة العربية. إن الشعوب التي تحترم لغتها تستحق كل تبجيل وتمجيد، وهي العلامة على كونها تسير في الطريق الصحيح للحفاظ على سيادتها وكرامتهاوكم يؤلمني وأنا أضغط على زر تلفزيون القناة الثانية أن أشاهد ندوة يتحدث أصحابها بلغة أجنبية بمنتهى الركاكة والتكلف يقول عنها البارعون المختصون في اللسان الأعجمي بأنهم لا يتقنونها ويسيئون استعمالها في تدخلاتهم وحوارهم بها، فإذا كان هذا هو حالهم ، فلماذا لا يستعملون الدارجة العربية وهي أسلم لهم وأهون ، إضافة أنهم يخاطبون جمهورا مغربيا لا فرنسيا ولا إسبانيا أو إنجليزيا ، ولو أتيح لهم مشاهدة برامج في مختلف تلفزات العالم أكان لهم أن يشاهدوا حوارا من غير الحوار الوطني لذلك البلد أوذاك، واجد نفسي أحيانا أتساءل. فلماذا اللغة الأجنبية؟ لماذا هذا السيل العارم من المسلسلات وأفلام الخردة والكليبات السخيفة والزعيق المتواصل والموسيقى الصاخبة التي ينزل صداعها كالمطارق على الرأس والنفس ، فما الجدوى إذن من تلفزيون لا يحترم جمهوره ، ولغة بلده؟ لقد عمد مذيعوه ومبرمجوه ومنتجوه إلى إقلاق راحتنا ، متناسين أو متجاهلين بأنهم يخاطبون جمهورا ينتظر منهم برامج باللغة التي يفهمها تتناول حياتهم، وحتى النشرات الإخبارية تم تقليصها لإعطاء وقت أكثر للنشرات باللغة الأجنبية . وفي الجامعات .. وخلال المناقشات التي تتم في كلياتها حدث أن تلقيت دعوة من كلية بمدينة القنيطرة لحضور مناقشة رسالة دكتوراه لأحد أساتذتها، وجلست في المدرج، ودخلت اللجنة وصاحب الرسالة، وكان الموضوع المناقش عن الفوسفاط، وافتتح العرض، وطبعا كان باللغة الفرنسية وما أن أتم عرضه حتى بدأت المناقشة ، وبدا أن أعضاء اللجنة كانوا في سباق فيما بينهم في محاولة لإبراز عضلاتهم، ودامت المناقشة أكثر من ثلاث ساعات ، وقد وقف صاحب الرسالة على المنصة في مواجهة الحاضرين بينما بدت ظهور أعضاء اللجنة أمامنا واحتدت المناقشة بين أعضاء اللجنة من جهة ومع صاحب الرسالة من جهة ، كان النقاش صاخبا والعبارات ركيلة يحاول أصحابها الإجادة بلغة غير لغته فيرتبك ويحاول الضغط على مخارج الحرف الفرنسي حتى يتفوق على لغة ديكارت وموليير فلا يستطيع...

وهذا ما يحدث وأنا أتابع ندوات التلفزة عن المشاريع التجارية وغيرها عندما يأتي مقدم الندوة بلسانه الفصيح ويعلن عن افتتاحها، أمام جمهورلا يلبث أن يضغط على زر التلفزيون لينتقل في رمشة عين إلى قناة تقدم له مالذ وطاب من مشاهدات تسره وتحمل له ثقافةعالية في كل مجال...

أيها الناس ... إنكم في أرض مغربية، لغتها الرسمية العربية. فما بالكم لا تحترمون هذه اللغة ولاتحترمون أكثر من ثلاثين مليونا من المشاهدين، هم ساكنة المغرب ، لا ساكنة جزر الوقواق.. فماذا أنتم فاعلون؟

شيء من الاحترام للغة العربية ياقوم .

الشاعر الصوفي "الولوي" والتجربة الروحية

الحلقة الثانية

■ د . عبد السلام الطاهري

عتبة السفر الطرقي (الانخراط في الطريقة)

لم يكن من الممكن للممارسة الطرقية أن تتم في سياق التصوف الطرقي بالمغرب، بعيدا عن موجه ومعلم ومرب ، يعرف باسم « الشيخ»، الذي يعتبر أساس الطريقة ومرشدها، ومنظم أتباعها ومريديها، وراسم مسلكهم ، بكل ما يتضمنه من مجاهدة ورياضة، لتحقيق الترقي في سلم المعراج الروحي ، والترقي الأخلاقي ، والانتقال من عالم المدنس إلى عالم المقدس، من الدنيوي إلى الأخروي ، حيث ترقى الروح من مقام المعرفة والمشاهدة والصفاء إلى مقام التوحيد، لأن التصوف الطرقي في المجتمع المغربي قد ساد كل فئاته الاجتماعية ، من الفقهاء والعلماء والخاصة، فضلا عن العامة ، لأنها كانت تجد « فيه ملاذها الروحي ، وتعميق مشاعرها الدينية، كما كان يجد فيه طلاب العلم المؤسسة التي تضمن لهم تكوينا معينا، بما في ذلك الإيواء والنفقة الجارية بالنسبة لبعض الزوايا الكبرى».

وهكذا صار الخطاب الطرقي (في مجال الشعر والنثر) عاملا إيجابيا في تأطير الحياة الدينية ، وتعميق الثقافة الإسلامية ، وتعميق إيمان طائفة كبيرة من المجتمع المغربي عن طريق السلوك الطرقي، كما كان يعكس أيضا عدة علاقات ومواقف سياسية ودينية ، طبعها الصراع والتوتر حينا والتطرف أو الاعتدال حينا آخر، تبعا لنشاط الطرقية في سائر المدن والبوادي إذ كان لا يعرف التوقف إلا إذا اصطدم مع سياسة المخزن، ومع ذلك كان يشكل قوة دينية وسياسية واجتماعية ، وهذا يعكس تعلق وعناية الاتباع والمريدين للطريقة، واحتفائهم بشيخها، وفي هذا الصدد قال الشيخ أبو مدين الغوث ناصحا العامة بالانخراط في الطريقة وصحبة أهل الله من شيوخ وفقراء:

مالذة العيش إلا صحبة الفقرا
هم السلاطين والسادات والأمراء
فاصحبهم وتأدب في مجالسهم
وخل حظك مهما خلفوك ورا
وراقب الشيخ في أحوالهم فعسى
يرى عليك من استحسانه أثرا
فاستغنم الوقت واخضر دائما معهم
واعلم بأن الرضى يخص من حضرا
إلى أن قال في مدحهم:
قوم كرام السجايا أين ما جلسوا
يبقى المكان على إثرهم عطرا
يهدي التصوف من أخلاقهم طرفا
حسن التصوف منهم راقني نظرا
وكم تنشقت من أنفاسهم نفسا
أذكى من المسك تنفسا إذا انتشرا

فصارت العلاقة بين مرسل الخطاب الصوفي ومتلقيه، تكتسي صبغة دعوية من جهة، واستقطابية من جهة أخرى ، والتماسا للبركة وانتصارا للأشياخ من جهة ثالثة، وهي تتأثر بمكانة ورمزية الطريقة، وتألق نجمها و من ذيوع بركة وقدسية شيوخها وقدرة تأثيرهم في المريدين ، بالإضافة إلى وظيفة الأذكار والأوراد التي تتبناها هذه الطريقة أو تلك ، مما جعل الطرقية في نظر مريدها وأتباعها وسيلة للتقوى والزهد والعبادة والترفع عن الشهوات الدنيوية ، فصار الخطاب الشعري الولوي يتطلع إلى التأثير على المتلقي له، وهكذا تمظهرت هذه العلاقة في:

❖❖❖

مالك المعرفة الطرقية
(شاعر الطرقية)
↓
يعتبر المحفز أو الداعية
↓
المرسل

❖❖❖

الحمولة الطرقية بكل دلالتها
(المتن الطرقي)
↓
تعتبر الرسالة أو الحافز
↓
الرسالة

❖❖❖

متلقى المعرفة الطرقية
(المريد، التابع عامة الناس)
↓
يعتبر المحفز أو المدعو
↓
المرسل إليه

❖❖❖

والمرسل تبعا لهذه العلاقة يرغب في استمالة المرسل إليه، وجعله تابعا ومريدا ، وهذه الثنائية بين الأنا المحفز والهو المحفز، تجمعهما مرجعية دينية واحدة، ولهذا يسعى مالك المعرفة الطرقية ،إلى ترسيخ خطابه الشعري الولوي حين يلح على صحبة أهل التصوف الطرقي واتباع الشيخ ومراقبته والاقتداء بأخلاقه ، مما دفعه إلى الحث والتشويق (وكم تنشقت .. أذكى من المسك..)

والخطاب الشعري الطرقي يهدف إلى إظهار الكرامات والمناقب ،وفضائل شيخ الطريقة ،حتى يؤثر في متلقي المعرفة الطرقية ، ويقدم ما يقنعه بأهمية الحياة الطرقية في ظل طريقة صوفية شعبية لها خصوصيتها ، من أجل استقطابه إلى الطريقة التي يتكلم مالك المعرفة الطرقية باسمها، سواء كان شيخا شاعرا أو مريدا شاعرا ويصورها له ملجأ لنفسه المتضررة والمستضعفة، والباحثة عن الاطمئنان والاستقرار الروحي، عن طريق النهل من بحر التصوف الطرقي ، وتقدره حسب ماهو شائع بين أهله ، وهو في حقيقته من « أجل العلوم قدرا وأرفعها ذكرا ، وأعظمها أثرا وأروعها تأثيرا وأعلمها نفعا، وقد شكل طرفا متميزا في مسرح الحياة الفكرية والمجتمعية ، إلى جانب السلطة السياسية ، وسلطة الفقه، وصار الطرقيون يرغبون في احتواء ذات المعرفة الفقهية، والعمل على إعادة تأسيسها وتغيير مضمونها لإنشاء معرفة جديدة (علم التصوف)، تهيمن على السلطتين معا الفقهية والسياسية .

كما حاولوا إرساء هذا التفوق لعلم التصوف من وجهة طرقية، على باقي علوم الملة ، وإكسابه سلطته، لأن موضوعه في نظر« ابن عجيبة» « هو الذات العلية، وواضعه هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وحده، صدق التوجه إلى الله ، واستمداده من الكتاب والسنة وإلهامات الصالحين وفتوحات العارفين».

ولما صار التصوف الطرقي أخلاقا ، شعبية، تخلق بها سائر أصناف الناس الذين كانوا ينخرطون في الطرق ، وبذلك حدث تقهقر في هذه الأخلاق والسلوكات الصوفية ، بفعل الجهل والاضرابات الداخلية ، والصراعات القبلية ، والتنافس على تولي السلطة، بالإضافة إلى التدخل الأجنبي في شؤوننا الداخلية ، وفرض حمايته القنصلية ، هذه العوامل مجتمعة كان لها أثرها السلبي على أتباع الطرقية ، الذين ابتعدوا عن جوهر التصوف، وعن حقيقته ، فانطبعت عقليتهم وممارستهم بطابع الانحرافية ، وخلط الناس بين المبادئ الشاذلية والعادات والبدع، وقد « قام الشيخ أحمد زروق في القرن التاسع للهجرة بفضح سائر الطرقيين المنتشرين في وقته ، والكشف عن نواياهم الحقيقية ، وبين خروجهم عن المبادئ الشاذلية ، وأنهم لا تحركهم سوى « لذة الرئاسة والامتياز بالاختصاص «الشيء الذي دفعه إلى القول عن التصوف ،« احذر هذا الطريق ، فإن أكثر الخارج منه، لا يسيرون على هدى التصوف الحقيقي.

تكريم عالمين جليلين بمدينة تطوان

■ بقلم / مصطفى أبغيل

■ يوم الجمعة 28 ربيع الأول 1414 موافق 2003/05/30 زار السيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية معالي الدكتور أحمد التوفيق مدينة تطوان، وعلى إثرها أقيم حفل تكريم للعالم الجليل الباحث المحقق الأستاذ سعيد أعراب شافاه الله، والأستاذ أعراب غني عن التعريف فقد قدم خدمات جليلة ، وأعطى جهودا كبيرة في مجال التحقيق والبحوث والدراسات الإسلامية، كما عرف برجال العلم والمفكرين المغمورين الذين نسيهم الناس، والأستاذ سعيد أعراب كان بكل حق اليد اليمنى لكل طالب ولكل باحث مجد لا يبخل بالإرشادات والتوجيهات لكل طالب ويعرف فضله وقيمته كل من جالسه ومن زاره وتعامل معه في مجال البحث والتحقيق ، فقد كان بارعا وله نفس طويل في هذا الباب .

كما زار أيضا السيد الوزير العالم الجليل السيد الأمين الحسيني خطيب وواعظ بمسجد مولاي الحسن بسانية الرمل، الذي ألزمه المرض الفراش ، ومنذ أزيد من أربعين سنة وهويزاول مهمة الخطابة والوعظ بالمسجد المذكور، وكان رجلا مخلصا تقيا شافاه الله.

وهذه الالتفاتة الكريمة من السيد الوزير للعلماء والمفكرين إن دلت على شيء فإنما تدل على العناية الفائقة، والاهتمام البالغ الذي يوليه صاحب الجلالة أمير المؤمنين محمد السادس حفظه الله ونصره للعلم والعلماء، ولأهل الفكر عامة، والله تعالى نسأل أن يديم هذا التواصل وهذه المحبة ، سائلين الله تبارك وتعالى أن يحفظ أمير المؤمنين محمد السادس ويقر عينه بصاحب السمو الأمير الأمجد مولاي الحسن، وشقيقه مولاي رشيد وباقي الأسرة العلوية الشريفة ، وأن يحفظ بلادنا من كل سوء ومكروه وتشكراتنا الخالصة للسيد وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية.

نماذج من شعراء طنجة

عرض وتحليل 1/3

■ إعداد الأستاذ: محمد مصطفى الريسوني

هيئة المحامين. طنجة

■ عندما توصلت بالدعوة الكريمة الموجهة إلي من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة محمد الخامس بالرباط، ومن مدرسة الملك فهد العليا للترجمة قصد المساهمة في الملتقى العلمي الثاني الذي تنظمه المؤسستان بمدينة طنجة وحول هذه المدينة نفسها ، سرني جدا أن يكون موضوع هذا الملتقى هو طنجة في الآداب والفنون. ذلك أن هذه المدينة التي عرفت حضارات متعددة وكانت مدينة عبور هامة عبر التاريخ، لم تجد من يدون تاريخها العلمي والأدبي والفني بالكيفية المطلوبة بل أن الباحث غالبا ما يضل السبيل وهو يجوب بواطن الكتب لعله يجد ما يشفي غليله حول طنجة ، مع العلم أنها كانت مزدهرة علما وأدبا في الكثير من العصور.

ولقد اخترت لمشاركتي في هذا الملتقى التعريف بشاعرين طنجيين أسهما في خلق النهضة الأدبية في هذه المدينة ، خلال جيل كامل ، إسهاما مني في التعريف بهما وبفضلهما على المثقف الطنجي في هذا الباب ، واعترافا بالجميل، وإقرارا بالحق فإن مدينة طنجة لم تعرف شاعرين مطبوعين فحلين مثل الشاعرين الأستاذين عبد الغني سكيرج رحمه الله وأبي بكر اللمتوني،، وأرجو أن أقدم للقارئ والمستمع نبذة تفي بالقليل من الكثير الذي يستحقانه.

وقد ارتأيت أن أقدم لهذا البحث بمقدمة أعرف بها بالوسط الطنجي والحياة الأدبية المعاصرة لنشأة الشاعرين الجليلين ثم أقوم بإعطاء نظرة موجزة عن حياتهما والتعريف بهما وبأعمالهما الأدبية، لأخلص في النهاية إلى تقديم نماذج من شعرهما مع تحليل مبسط للنماذج المقدمة .

الوسط الاجتماعي والأدبي المعاصر لنشأة الشاعرين 1930 . 1955

لقد اخترت هذه الفترة الزمنية بالضبط لعدة أسباب ومفارقات ، فإذا كانت ولادة الشاعر أبي بكر اللمتوني سنة 1930، فإن هجرة الشاعر عبد الغني سكيرج الأولى إلى مدينة طنجة كانت في نفس السنة.

وللتعريف بالوسط الاجتماعي والأدبي المعاصر لنشأة الأديب أو الشاعر أثر بالغ في دراسة أعماله الأدبية، لما لذلك الوسط من تأثير واضح ملموس على هذه الأعمال.

لقد كانت سنة 1930بالنسبة للمغاربة سنة انطلاق وانعتاق من الذهول والجمود الذي عرفته الحركة الوطنية أولا، بعد أن تمكن المستعمر من إخماد جميع الثورات التي انفجرت ضد وجوده والتي كان آخرها ثورة الريف بقيادة الزعيم محمد بن عبد الكريم الخطابي.

وهكذا ظل المغرب مع استثناء بعض جيوب المقاومة في شبه جمود سياسي وطني منذ أواخر سنة 1926 إلى سنة 1930 حيث ألهب القادة الوطنيون مشاعر الشعب المغربي بالوطنية الصادقة وبالمظاهرات العارمة وبقراءة اللطيف والاعتصام في المساجد إثر الظهير البربري ، ولم تخل مدينة من هذه المظاهر كسائر المدن المغربية الكبرى.

وإذا كان المرحوم عبد الغني سكيرج قد واكب هذه الأحداث وهو يافع ابن ثلاث عشرة سنة فإن الشاعر أبي بكر اللمتوني قد ازداد في خضم هذه الأحداث وفي بيت وطني غيور معروف بعلمه وصلاحه.

ولقد كان لهذا الحدث العام في بداية نشأة الشاعرين أثرهما البالغ على إنتاجهما كما سنرى فيما بعد.

وقد كان النظام الدراسة والتعليم خلال هذه الفترة 1930 . 1950 يغلب عليه الطابع الفقهي الديني سواء بجامعة القرويين التي كانت تعرف بداية تطبيق النظام الدراسي فيها أو بمدينة طنجة ، فإن العلوم التي كان يتلقاها الطالب، متنوعة ومتعددة فهي تشمل الفقه والنحو واللغة وعلم العروض والأدب والبلاغة والحديث ومصطلحه والتفسير وغيرها من أنواع المعرفة ، على يد أساتذة وشيوخ ذوي دربة وحنكة وعلم فائق تجعل الطالب في نهاية المطاف موسوعة علمية واسع الادراك متسع المعارف.

وقد أخذ كل من الشاعرين من هذه المزايا بنصيب ، وكان لذلك الأثر الواضح على ما جادت به قريحته من قصائد وأشعار.

وقد عرف هذان العقدان تكوين كتلة العمل الوطني وإنشاء أحزاب وطنية أخرى ، عملت على إذكاء روح الوطنية الحقيقية في الشعب المغربي عموما ومثقفيه خصوصا، وبمدينة طنجة نهج رواد الوطنية نفس النهج وعلى رأسهم أستاذ الجيل العلامة الراحل سيدي عبد الله كنون الحسني الذي أسس المدرسة الاسلامية الحرة، لتكون منبعا للتعليم ومنبرا للوطنية في مدينة طنجة، كما أسس المعهد الديني بها الذي كان يسير به على نفس الدرب وقد نال الشاعران من نفح هذا العالم الجليل القدر الغير اليسير.

وقد كان لزيارة أمير البيان شكيب أرسلان لمدينة طنجة سنة 1930 أثرا بارزا في إذكاء الحماس الوطني ، والاعتزاز بالعروبة والإسلام.

وقد عمل على ترسيخ هذه الثوابت الأستاذ الجليل الشيخ محمد المكي الناصري الذي قدم إلى تطوان ثم طنجة بعد نفيه من مسقط رأسه من طرف طغاة الاستعمار، فأسس حزب الوحدة المغربية، ومعهد مولاي المهدي في كل من تطوان وطنجة.

ولقد عرف سوق الأدب رواجا كبيرا في هذه الفترة وعكفت مجموعة من شباب طنجة على دراسة الأدب العربي والكتابة ونظم الشعر، وكان من جملتهم الشاعران سكيرج واللمتوني على صغر سنه.

وإذا كانت طنجة لم تعرف صدور مجلات باللغة العربية في هذه الفترة ، فإن مدينة تطوان التي كان يصدر بها العديد من المجلات قد ساعدت أدباء طنجة على الكتابة والنشر فيها، مثل مجلتي الأنيس والأنوار وغيرهما، ويجد المتتبع لهذه المجلات أثر الكتاب الطنجيين متعددة ومتواصلة.

ومثل ذلك يقال عن الصحف التي كانت تصدر في تطوان كصحيفة الأمة والنهار والوحدة المغربية ، أو تلك التي كانت تصدر بمدينة طنجة صحيفة منبر الشعب وصحيفة الشعب.

فقد كانت بحق منابر للأدب والشعر فضلا عن منبر السياسة والعمل في الحقل الوطني . وعرف المسرح والتمثيل تأسيس جمعيتين هامتين هما جمعية المغرب وجمعية الهلال اللتين قامتا خلال هذه الفترة ببث روح الوعي بالعروبة والإيمان بالوطن، وذلك مما كانت تقدمه من روايات ومسرحيات وتمثيلات نذكر على سبيل المثال مسرحية ، صلاح الدين الأيوبي، ومسرحية المنصور الذهبي، ومسرحية الوليد بن عبد الملك والرشيد والبرامكة إلى آخر العروض التي كان يقدمها أعضاء هاتين الجمعيتن ، والتي لم تخل منها مشاركة كل مثقف طنجي آنذاك.

وهكذا فقد عاش المرحوم عبد الغني سكيرج نشأة أولى ثم ثانية بمدينة طنجة وهي تساير الوطنية المغربية، وينمو فيها الشعور بالعز والأنفة، كما ساير نمو الساحة الأدبية والمسرحية والثقافية بوجه عام واستقى من هذه وتلك خياله الشاعري وموضوعات قصائده، مما سيجده الباحث ويستخلصه من مجمل شعره المنشور وغير المنشور.

كما نشأ الأستاذ أبو بكر اللمتوني وتربى في هذا الجو الوطني المتوهج، وأخذ منذ نعومة أظافره يرتوي من معين الأدب العربي ويستقطب بنات أفكاره من هذا المحفل الثقافي الفعال ، وزاد في ذلك ذهابه إلى بلاد الكنانة وإتمام دراسته بها، فجاء قصيده عنوان ذاته المتفجرة بمشاعر الوطنية وبحب اللغة العربية والوطن العربي، ولا غرو فديوانه، بقيت وحدي ، يكفي دليلا على ذلك.

وإذا كان الشعر من ملكات النفس التي لا تفنى غير أن أشكال تعبيرها تتغير وتجدد وتزدهر وتذبل، فقد عبر الشاعران سكيرج واللمتوني عن هذه الملكات ورواجا في فنون الشعر وشجونه ، وعبرا عما خالجهما من أحاسيس بوسائل التعبير الفنية التي امتلكاها موهبة ودراسة ، وقدما للدارس والباحث باقة من أزاهير الشعر وورود سنعمل على تقديم البعض منها في هذه الدراسة.

آراء الإمام الغزالي التربوية

ومذهب المفكر ابن خلدون في تقويم الأجيال الصاعدة

■ إعداد الأستاذ : عثمان بنخضراء

■ التربية ترتبط بالقيم وبطبيعة الإنسان ونظرة فلسفية إلى الوجود والواقع أن كل تربية تستند إلى نظرة عامة إلى الحياة ونظرة عامة إلى الإنسان وإذا نظرنا إلى أهداف التربية الإسلامية رأينا أن هدف المسلمين لم يكن دنيويا بحتا كما عند اليونان والرومان ولم يكن دينيا بحتا كما عند اليهود . وإنما كان هدف التربية الإسلامية دينيا ودنيويا . وكلام القرآن الكريم يثبت ذلك:

« وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا» ولا ريب أن المسلمين الأوائل قد تربوا تربيتهم الأولى ونشأتهم الفكرية على يد الرسول محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، الذي صاغ عقولهم ونفوسهم من جديد، فهو المعلم الأول:« إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق » فالقرآن الذي أنزل على الرسول والتقيد بتعاليمه والتخلف بأخلاق الرسول الذي وصفه الله تعالى في كتابه الكريم قائلا:« وإنك لعلى خلق عظيم»

كان هدف المسلمين في الماضي والحاضر .

وعندما تحقق هذا الهدف صلح أمر دينهم ودنياهم فتقدموا في كافة مجالات العلم واستطاعوا أن يشيدوا حضارة رائعة عم نورها العالم بأسره وبما أن الإسلام قد دعا إلى علوم الدنيا والدين لذلك فإن المربين المسلمين كانوا يبحثون عن أفضل الطرق لإيصال هذه العلوم إلى المسلمين . ومن كبار المربين في هذا الحقل الإمام أبي حامد الغزالي الذي ولد سنة 450 هجرية وفق 1085 ميلادية في مدينة طوس ثم انتقل إلى نيسابور حيث اتصل بإمام الحرمين أبي المعالي « ضياء الدين الجويني» شيخ زمانه وإمام الشافعية . ودرس عليه الفقه والأصول، وقد ترك الجويني أثرا كبيرا في نفسه . ولم ينفصل الغزالي عن أستاذه إلا بعد موته . ثم خرج من نيسابور وتعرف بالوزير نظام الملك أوكل إليه التدريس بمدرسته النظامية في بغداد . واستمر في ذلك أربع سنوات ترك بعدها بغداد لينتقل بين مختلف البلاد العربية.

لقد ترك الإمام الغزالي ما يزيد عن سبعين مؤلفا في الفقه والمناظرة والرد على الفلاسفة ، والدفاع عن الدين ، ومن أهم مؤلفاته التي تحتوي على كثير من الآراء التربوية: رسالة أبا الولد . إحياء علوم الدين، ميزان العمل، فاتحة العلوم . توفي عام 505 هجرية الموافق 1111 ميلادية في مدينة طوس.

عاش الغزالي حياته كلها واعظا ومعلما ومرشدا لذلك فإن آراءه التربوية تركت بصملتها في تاريخ التربية الإسلامية.

فالغزالي يرى أن صناعة التعليم من أشرف الصناعات لأن المعلم متصرف في قلوب البشر ولا يخفى أن أشرف مخلوق هو الإنسان وأن أشرف شيء في الإنسان هو قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتطهيره وسياقته إلى القرب من الله تعالى ولما كان الغزالي من كبار المفكرين الذين نفذوا إلى أعماق النفس ومارسوا التعليم فآراؤه في التربية جديرة بالدراسة والممارسة والاستفادة والمقارنة .

يبني الغزالي رأيه في فطرة العقل على نظرة عميقة في النفس الإنسانية وفهم واع بطبيعة الطفل . إنه يقول « الصبي أمانة عند والديه ، وقلبه الطاهر جوهة نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال به إليه.

فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والأخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له ومؤدب . وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك، وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له»

وهو في هذا يوافق أصحاب المدرسة التجريبية أمثال « دفيد هيوم» و « لوك» الذين يرون أن النفس صفحة بيضاء خالية من أي نقش.

إن وجود الإنسان له وجهان : وجه حقيقي ، ووجه زائف.

أما الوجه الحقيقي فمرتبط بالمحتوى مباشرة ، ومتوقف عليه.

وأما الوجه الزائف فمتعلق بالشكل الذي فقد محتواه.

وهذه الحقيقة أضحت الآن بديهية، متعارفة بين الناس . فالكل يؤمنون بأن قارورة الزيت قيمة تستمد وجودها من الزيت لا من القارورة . وأن رجل العلم قيمة تعتمد في وجودها على العلم ، لا على الرجل . وليس معنى هذا أن الشكل يبقى في منطقة الصفر من سلم القيم،وإنما معناه أن المحتوى هو الذي يعطي للشكل وجوده الحق ويمنحه درجة في سلم القيم الوجودية ، والعكس ليس صحيحا ، إن الشكل ليس مصدر حياة المحتوى، وليس رافعا ولا خافضا لدرجته في سلم القيم

وفي الحديث الشريف الذي رواه الإمامان البخاري ومسلم قوله عليه الصلاة والسلام: « إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم وأعمالكم ، ولكن ينظر إلى قلوبكم» ولهذا فإن الغزالي يؤمن بقبول الأخلاق للتغير . ولقد عارض من قال أن الأخلاق لا تتغير وأنها من مقتضى المزاج والطبع فقال:

« لو كانت الأخلاق لا تقبل التغير لبطلت الوصايا والمواعظ والتأديبات ولما قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: « حسنو أخلاقكم»

لكن الغزالي لا يغلو غلو أصحاب المدرسة التجريبية إلى حد إنكار الاستعدادات الموروثة بل يرى بفكره الثاقب أن التربية حدود وفي هذا يقول:

« إن النواة ليست بتفاح و لا نحل قبل أن نتعهدها بالغرس والتربية ، على أن التربية لا يمكنها أن تغير من استعداد النواة لقبول بعض الأحوال فتجعل من نواة النحل تفاحا وبالعكس...» فهم لم يعط التربية قدرة كبيرة قادرة على كل شيء ... ولا يذهب مذهب المربين المسيحيين الذين يرون أن الطبيعة البشرية فاسدة يجب قمعها، بل رأى أن للشهوات والغرائز وظيفتها . وأن الخير والشر فيها على حد سواء، وليس غرض التربية قمعها بل حسن توجيهها.

وهو بهذا يبين حدود التربية، فهو لم يعطها قوة خارقة كما لم يذكر دورها وأثرها في توجيه الطبائع البشرية والغرائز الإنسانية نحو المسار الصحيح ومن هذا المنطلق يجعل الغزالي للتربية قيمة أساسية ويرى أن للمعاشرة تأثيرا بالغا فعلى الولي أو القيم أن يتعهد الصبي بعناية ويسهر على صيانته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء ولا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية فيضيع عمره في طلبها ولا يعوده التنعم.

ومهما رأى فيه مخايل التمييز فينبغي أن يحسن مراقبته ، وأول ذلك ظهور أوائل الحياة فإنه إذا كان يحتشم ويستحيي ويترك بعض الأفعال فليس ذلك إلا لإشراق نور العقل عليه حتى يرى بعض الأشياء قبيحا .

ومخالفا للبعض ثم يشغل في المكتب فيتعلم القرآن العظيم وأحاديث الأخيار وحكايات الأبرار وأحوالهم لينغرس في نفسه حب الصالحين ..... وليكن الأب حافظا هيبة الكلام معه ، فلا يوبخه إلا أحيانا .

وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعبا جميلا يستريح إليه من تعب المكتب بحيث لا يتعب في اللعب . فإن منع الصبي من اللعب وإرغامه إلى التعلم دائما يميت قلبه ويبطل ذكاؤه وينغص عليه العيش حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسا،

وهكذا يدرك الغزالي قيمة اللعب ودوره في نشاط الجسم وحيويته كذلك يولي للتربية الأخلاقية دورا كبيرا ليس عن طريق الأمر والنهي، بل يرى أن أفضل طريقة للتأثير في الطفل هي طريق المعاناة للعمل الخلقي منذ نعومة أظفاره قولا وعملا» فمن أراد أن يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه أن يتكلف فعل الجواد وهو بذل المال.....، وكذا من أراد أن يحصل لنفسه خلق التواضع وقد غلب عليه الكبر فطريقه أن يواظب على أفعال المتواضعين مدة مديدة وهو فيها يجاهد نفسه ومتكلف إلى أن يصير ذلك خلقا له وطبعا فيتيسر عليه وجميع الأخلاق المحمودة تحصل بهذا الطريق .

وهكذا يبدو لنا الإمام الغزالي من خلال آرائه التربوية أنه من كبار المفكرين الذين خبروا النفس الإنسانية ووعوا الطبيعة البشرية . فأرشدنا الطريق القويم لنصل بالأجيال نحو الغاية المرجوة.

ويرى ابن خلدون أن الشدة مضرة بالمتعلمين ، وأن العقاب ليس وسيلة تربوية إلا في بعض الحالات ، ولاسيما حينما تخفف طرق الملاينة والمحاسبة وبهذا الصدد يقول:

« وذلك أن إرهاف الحد بالتعليم مضر بالمتعلم لاسيما في أصاغر الولد لأنه من سوء الملكة ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو، المماليك أو الخدم سطابه القهر وضيق عن النفس في انبساطها وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل وحمل على الكذب والخبث ، وهرو التظاهر بغير ما في ضميره خوفا من انبساط الأيدي بالقهر عليه».

ويظهر لنا من هذا الكلام أن الشدة على المتعلمين تظهر بأسوأ مظاهرها حين يؤخذ المتعلمون بها في سنيهم المبكرة . ويذهب ابن خلدون إلى أبعد من ذلك فيرى أن الشدة والقهر تترك آثارا في الأمة كلها وتعودها الخسف والهوان ولابأس من العقاب في بعض الأحايين حينما تدعو الحاجة إلى ذلك... ويقول بهذا الصدد « وقد قال محمد أبي زيد في كتابه الذي ألفه في حكم المعلم والمتعلمين . لا ينبغي لمؤدب الصبيان أن يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط شيئا، ومن كلام سيدنا عمر رضي الله تعالى عنه: « من لم يؤدبه الشرع لا أدبه الله»

وهو يعلل ذلك بأن الشرع أعلم بحقيقة التأديب،

ومما أعجب به المفكر ابن خلدون ووجده مثلا أعلى في التربية حيث قال:

« ومن أحسن مذاهب التعليم ما تقدم به الخليفة هارون الرشيد لمعلم ولده محمد الأمين، فقال « يا أحمر ، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطة وطاعته لك واجبة ، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين ، إقرئه القرآن العظيم وعرفه الأخبار وروة لأشعار وعلمه السنن وبصره بمواقع الكلام وبدئه، وامنعه من الضحك إلا في أوقاته» يقول الله عز وجل:« ادع إلى سبيل ربك بالحكمة الموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن»

ويقول الرسول الأكرم عليه الصلاة والسلام « أدبني ربي فأحسن تأديبي »

وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم،:«وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة،، وحفتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده،»

اللهم اجعل لي وللمسلمين من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ومن كل بلاء عافية،.

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1025
السنة 36
الجمعة 20 ربيع الثاني 1424 هـ
الموافق 20 يونيو 2003 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب.

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1025 الجمعة 20 ربيع الثاني 1424 هـ .الموافق 20 يونيو 2003م

الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد الحراق الحسني

نموذج الإنسان المتصوف الذي تشوف إلى الحقيقة واستقام على الطريقة

■ إعداد الأستاذ: عبد الله كديرة

الحلقة الثانية

■ لقد لقي الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد الحراق رحمه الله الشيخ مولاي العربي الدرقاوي رضي الله عنه في أصعب ظروف حياته ، وكان ذلك بمبادرة كريمة ، وعن طريق كرامة ظاهرة مشهودة للشيخين الجليلين.. والمبادرة بدأت من مولاي العربي رحمه الله، وتلت باستجابة سيدي محمد الحراق وفهمه لها.. وتأكيد وتأييد من أصحاب مولاي العربي الذين خاطبوا سيدي الحراق:« اغتنم فرصة هذه الحركة ، واركب هذه الدابة ، فإنها كلها إن شاء الله خير وبركة.. فركب الشيخ وقصد مولاي العربي حتى اتسق حاله به أي اتساق...»

فكانت فعلا حركة رحمة ، بسحاب رحمة ، ورعد رحمة، وبرد رحمة، ونزلت بأمطار الرحمة في القلبين الطاهرين، كل حين وعلى كل حال، ليهتز القلبان ويربوا، وينبتا من كل زوج بهيج، من العلم والعمل ، ممزوجين بالحلاوة واللذة ثم السلام.

والتقا الجبلان، وتقدم الفقيه الحراق إلى الشيخ مولاي العربي، فرحب به ترحيبا، وتعانق الرجلان ، وارتفعت أصوات الفقراء بالذكر (ذكر الله تعالى) ثم دخول المكان المعد لجلوسهم ، وابتدأت المذاكرة ، فقال الشيخ للفقيه:« اذكر الله، وذكر في الله.

وامتزج الفقيه بالشيخ ، ليجعل منه شيخا فقيها(نموذج الإنسان المتصوف ، المتشوف إلى الحقيقة ، المستقيم على الطريقة.. فردا فانيا في أمة.. يجسد بسلوكه آمالها، ويخفف آلامها .. وبدأ السير إلى الله في طريق جديد، بعلم جديد، وعمل جديد، ولن يضل الله طريقه).

« وقد لقنه مولاي العربي الأوراد، وأذن له في التربية والتلقين، ولم يأمره بخرق عادة ، ولابكشف رأس ، ولا سؤال، ولا لبس مرقعة، ولا ذكر في الأسواق ، وإنما حثه على كثرة ذكر الله، وجمع القلوب على الله وإخلاص العبودية إلى الله».

ويتجلى هذا ظاهرا باهرا في هذه الرسالة من مولاي العربي إلى سيدي الحراق رحمهما الله رضي عنهما، ومما جاء فيها:« إلى من نحن وإياه ذات واحدة ، نحب له ما نحب لأنفسنا ونكره له ما نكره لها ، والله تعالى مطلع علينا...» بهذه القلوب الصافية الطاهرة تصافيا وتوادا بعين الله وعلى عينه .. وانبثق منهما هذا الصفاء وهذا الود يمتد ليعم الأمة كلها . من أطاع منها ومن عصى .. ثم أردف:« أما بعد ، فإني أنصحكم لله وفي الله وابتغاء مرضاة الله، ونصحي لكم أن تكونوا دائما على السنة المحمدية، التي هي الحصن المنيع من كل بلية ، أو التي هي سفينة النجاة، ومعدن الأسرار والخيرات ، وإذا تحيرتم في أمر من أموركم، ومناقت منه صدوركم واشتد منه أمركم فلا تخوضوا فيه، أي فلا تدبروه، ولا تختاروه كما هو شأن جل الناس، أو كما هو شأن أهل الغفلة لطف الله بناويهم، بل اشتغلوا بما أمركم به ربكم، إماصلوا ما شاء الله، أو اتلوا ما شاء الله، أو اذكروا لاإله إلا الله ماشاء الله.. وهكذا فإن الله تعالى يجعل لكم فرجا ومخرجا كما جعل لأوليائه رضي الله عنهم ، ونفعنا وإياكم ببركاتهم...) الله تعالى يلطف بنا وبسيدنا نصره الله ورعيته والمسلمين جميعا».

. المحبة عند التصوف الحق المصافي لله ورسوله وللمؤمنين أن يرى نفسه في أخيه ، وأخاه في نفسه ، وكأنهما روح واحدة في جسدين ، وكل المؤمن للمؤمن ولي ، يحب له ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لها... والله مطلع وشهيد..

. الدين عند كل من صافى وصوفي النصيحة لله ورسوله ولعامة المؤمنين وخاصتهم وبالأخص أئمتهم .. ويتجلى هذا النصح في الاعتصام بالكتاب ، والتحصن بالسنة ، وعدم التدبير للنفس برؤيتها فيه ، فالله يقوي عبده فيما يريده إذا ابتغى به وجه الله ، ويعينه.

النصح عند المتصوف أنه يحكم بالسنة في كل أمره، ما يأتي وما يدع، ولا يجد حرجا فيما قضى الله ورسوله ويسلم أمره لله تسليما..

. والمتصوف الحق عبد أقامه الله مقام العبودية والعبادة.. لا يختار لنفسه إلا ما اختاره الله له، خروجا عن مراده لنفسه إلى مراد الله منه وله.

. وأمة الإسلام تختار الألفة والوحدة والتوحيد .. وما يجسد ذلك ويجليه في الدنيا هو الولاء لولي الأمر منها، بالالتفاف حوله والولاء له والدعاء له ، نرى ذلك بينا في ختم الرسالة التي نقلنا شذرات منها، حين قال مولاي العربي رحمه الله مبرزا أعظم خير الدنيا وأكرم خبر عنها يبشر به حبيب:« .. فالله تعالى يلطف بنا وبسيدنا نصره الله ورعيته والمسلمين جميعا» فالصوفي الصافي المصافي لا يرى نفسه إلا في أمته ، ولا يرى أمته إلا في ظل ولي للأمر منها يلم شعثها ويراب صدعها ، وعلى هذا السنن القويم كان شيخنا الحراق رضي الله عنه وأرضاه .. وهذه شذرات من رسالة وجهها إلى السلطان المولى عبد الرحمن رحمه الله:« .. إلى سيدنا المنصور بالله ، المظفر إن شاء الله بعونه.. وأمدنا وجميع المسلمين بمدد أصفيائه وأحبائه.. اخبرنا من أحوالكم بأخبار حسنة، وسيرة مستحسنة تدل على مقام الولاية من الله إليكم .. لأنه لا يثبت على الحضور مع الله في مقام الإمارة إلا الفرادى من الناس الذين تولاهم بسابق العناية .وإنا لنوقن أن تلقيات القلوب يصدقها شاهد الحكمة ، لأن القلب إذا كان على بينة من ربه حين الإلقاء تلاه التحقيق بشاهد منه..»

ذاك هو المتصوف الفقيه أبو عبد الله محمد الحراق الحسني شيخنا الحبيب رضي الله كما بدأ ، وكما لن ينتهي (أمة في واحد) صهرته بوتقة المحن والتجارب فخرج معدنا كريما ..

4. ما احتار ولا تردد ولا اضطرب .. وماضل السبيل.. وما ثبت أنه عجز عن إثبات أثره الخير في شيء ولا أمرئ ولا ملإ..

نعم إذا كان التصوف كما عرفه أحد الصالحين حين سئل : ما التصوف؟ فتبسم ثم قال : لائح لاح (حقيقة ظهرت وتجلت) فاصطلم فاستباح(استأصل المتصوف من أنانيته وأثرته وظلمات نزعات نفسه وأهوائها وشهواتها ، ليطرحه عبدا ليس له من أمره شيء بين يدي ربه عز وجل ، تحت مشيئته ورهن إرادته ، بلا أنا ولا أين) يعني كشفا يرد على الأسرار ، فيخطف العبد (أي بقوة من الله يوهب الصوفي اطلاعا على معاني الغيب والحقيقة كأنه فيها واجد شاهد، بلطيفة نورانية يودعها الله قلبه فيعرف ويحب ويستنير، ويخطف العبد من نفسه ليخلص ويصفو لربه ، بما يرد عليه بفضل الله من معاني الغيب يزع قلبه إلى العمل بما يرضي الله) ويستبيح منه كل شيء مما له من مال وغيره ، حتى لا يؤثر لنفسه شيئا ، والاصطلام محل القهر(بغلبة الوله على القلب بالحق للحق في الحق ينفي إرادته لتبقى إرادة الحق هي القاهرة) ونعت الحيرة (بما يرد على القلب العارف فيحول بينه وبين التأمل والفكر بما يحجبهم من تلك الحيرة وصفة الدهشة).. (أي بسطوتها على الصوفي المصافي لتملأ قلبه بهيبة الله تعالى، فلا يكون منها وبها إلا به ومعه)

فإذا (تحلوا بخالص الخدمة، كفوا طوارق الحيرة، وعصموا من الانقطاع والفترة) ... وذاك كأن شأن سيدي محمد الحراق رضي الله عنه وأرضاه فقد فرغ نفسه للخدمة بتفان وإخلاص والى لك، وهو القائل في إحدى وصياه :«لا تطلب ماله ضد ، فيهيج ضده عليك، واطلب مالا ضد له، تكن الأشياء، عبيدا لك».. وفرق كبير بين من عبد الله فسخر له الأشياء، ومن عبد نفسه فسخرته نفسه لها وللأشياء، مستعينة عليه بالشهوات والأهواء .. وشيخنا رضي الله عنه نموذج عال لكرامة الإنسان كما أراد الله، وتلك حضارتنا الإسلامية التي أنجبت أمثاله.. فحرروا الإنسان وكرموا الانسان ، وأعلوا شأن الإنسان، ويحق لهم أن يفخر بالانتماء إليهم بنو الإنسان لأنهم أتباع أكرم إنسان، وأمثل إنسان، وأكمل إنسان سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، والذي أنزل عليه ربه وحيا كريما:« ولقد كرمنا بني آدم وحملنا هم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا ، سورة الإسراء / الآية :70.

أو بعد هذا، ومع كل هذا يكابر مكابر في أن مصدر كرامة الإنسان ، ومنبع أحق حقوق الإنسان في الإسلام؟

ومن معينه استقى شيخنا رضي الله عنه هذه الكلمة النورانية حين قال: وما أعظم ماقال « لاتذم البشرية ، إذ لولاها لم تكن لك في الأنام مزية، وقارن. رحمك الله . بين ما قرأت لك ، وبين ما أقرأ لك الآن ، عمن هو بهم مدنيتهم إلى الحضيض، بقول الكاتب الفرنسي سانت بوف مقرا بعبوديته للفيفة تبغ!:« إن عدم التدخين في الحياة يشكل فرغا كبيرا، بملأه الإنسان بالبحث عن تسليات طبيعية لا تلبث أن تلازمه حتى آخر يوم من حياته»..

أو لهذا خلقنا؟ لتستعبدنا تسليات طبيعية أو غير طبيعية تلازمنا عمرنا؟ أما الشاعر أبو لينيو فيقول في أحد مقاطع قصيدته (النزق) :« إن غرفتي أشبه بقفص .. تمد الشمس يدها من بين قضبانه .. وأنا أريد أن أدخن لأخلق لنفسي عالما خياليا.. أريد أن أدخن كي لا أعمل ..» هذا فعلا من الشعراء الذين يتبعهم الغاوون، وفي كل واد يهيمون .. حياته قفص.. يرفض أن تمتد إليه أشعة الشمس من خلال أسلاكه... يختار الهروب إلى الحرية في عالم الخيال.. ليستنيم إلى العجز والكسل...

أما جان بول سارتر، فيقول :« قررت منذ عدة سنوات أن أقلع عن التدخين ، ولقد فعلت مكرها. فالذي حرمت منه ليس طعم التبغ، بل معنى حركة التدخين ، فلقد كنت أدخن في السينما ، وفي أثناء الكتابة ، وبعد الأكل،ولذلك خيل إلي أنني إذا توقفت عن التدخين ، فلسوف أفقد لذة الاستمتاع بالسينما والأكل والكتابة .. كل اللذائذ كانت عندي تقاس بقدرتي وأنا أدخن فمن خلال التبغ الذي كنت أشربه كان العالم يحترق ، ويتحول إلى بخار أستنشقه».

ولن يتحول العالم أبدا إلى عبث تبدد الملل والسأم فيه دخينة تحترق ، وتخترق صدورا فارغة .. ولن يحترق العالم أبدا على يد إنسان دموي يريد أن يستمتع باستنشاق دخان لفيفة تبغ، والعالم الإنساني يشيع فيه الخراب والدمار.. لن يكون ذلك مادام في هذا العالم رجال من أمثال شيخنا الجليل، ومن ينهج نهجه ويهتدي بهداه.. فحاصل الأمر عنده رضي الله عنه « أن مدار أهل الطريقة ، على شهود الحق والفناء في وجوده عن وجودهم، مع إقامة الشرائع، أولئك حزب الله، ألا إن حزب الله هم المفلحون ».. . وقد قال الشيخ سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه :« الصقوا بأولياء الله :« ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولاهم يحزنون ، الذين آمنوا وكانوا يتقون» سورة يونس الآية: 62، 63 الولي من واد الله وآمن به واتقاه، فلا تحادوا من واد الله ...« من آذى لي وليا فقد آذيته بالحرب» (البخاري وأحمد) الله يغار لأوليائه، ينتقم ممن يؤذيهم، ويكرمهم بصون محبيهم، وعون من يلوذ بهم. وهم أخص المخاطبين بآية:« نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ، سورة فصلت / الآية: 31.

وشيخنا منهم، وفي الذروة والذؤابة من خيرتهم وكرامهم وكلهم خيار كرام.. فنوا في أمتهم، وجسدوا آمالها ، وعالجوا وآسوا أدواءها وأسقامها وآلامها.. وعاشوا يتشوفون إلى الحقيقة ، مستقيمين على الطريقة ، فكان حقا على الله أن يحسن إليهم ، فوصفهم وصف الحق ، وهو الحق:« والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ، وإن الله لمع المحسنين» سورة العنكبوت / الآية: 69.